




CERTIFICATE

This is to certify that the Master of Philosophy dissertation entitled "Abul Kalam Azad's approach to the Arabic language with special reference to his work "Tarjumanul Qur'an" submitted by Mr. Ziaur Rahman, is his original work. To the best of my knowledge this work neither in part nor in full has ever been submitted to any University/Institution for the award of the same degree.


Dr. F. U. Farooqi 21/7/2008
Supervisor



Prof. S. A. Rahman
Chairperson
CAAS/SLL&CS



مركز الدراسات العربية والإفريقية

جامعة جواهر لال نهرو

نيو دلهي - ١١٠٠٦٧

الهند

نبوغ أبي الكلام آزاد في اللغة العربية

بالخصوص في ضوء

”ترجمان القرآن“

بحث مقدم

لنيل شهادة ما قبل الدكتوراه

تحت إشراف:

الدكتور فيضان الله الفاروقي

الباحث:

ضياء الرحمن الأعظمي

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

شكر وتقدير

... لا يسعنى - بعد أن وفقنى الله لإتمام هذا البحث - إلا أن أتوجه إليه جل
وعلا بالحمد والثناء على توفيقه ونعمائه.

واعترافاً بالفضل لأهله وامثالاً لقول الرسول ﷺ :

' من لا يشكر الناس لا يشكر الله ' فإنى أتوجه بالشكر الجزيل إلى أصحاب
الفضيلة القائمين على جامعة جواهر لال نهرو الذين أتاحوا لى الفرصة
للدراسة فى هذه الجامعة الموقرة ' بالخصوص فى مركز الدراسات
العربية والإفريقية .

كما أتقدم بالشكر الجزيل لأستاذى المكرم فضيلة الشيخ الدكتور فيضان
الله الفاروقى - حفظه الله ورعاه - الذى أشرف على هذا البحث بكل عناية
وتوجيه. فجزاه الله خيراً .

ثم أشكر الأساتذة الأجلاء فى مركز الدراسات العربية الذين شجعونى على
كتابة هذا البحث وأرشدونى الى الموارد الهامة للمادة العلمية فى هذا الصدد
قدر الله توجيههم وإرشادهم .

وقد يكون من الجور إذا لم أشكر أصدقائى الأحبة بالخصوص محمد أجمل
' طاهر هلال ' عرفات ظفر ومحمد أظهر الذين ساعدونى أكرم المساعدة فى
ترتيب هذا البحث وتنسيقه وطباعته. ثم أشكر كل من ساعدنى أى مساعدة
فى كتابة هذا البحث المتواضع فجزاهم الله كلهم خيراً الجزاء.

المقدمة

الحمد لله الذي خلق الانسان وعلمه البيان والصلاة والسلام على نبينا محمد العربي الكريم الذي قال: إن من البيان لسحراً، وعلى آله وصحبه أجمعين .
فان اللغة العربية وآدابها لها تاريخ مشرق في الهند منذ ما دخل الاسلام في هذا البلد . قد أنجبت أرض الهند رجالا عمالقة برعوا وتفننوا في العلوم الاسلامية بأجمعها من التفسير والحديث ، والفقه والأصول والفلسفة والكلام - بذلوا⁴³ بمجهودات جبارة في نشر العلوم الاسلامية وترويج اللغة العربية في جميع أوساط البلاد ، فقد أنشئت المدارس والمعاهد الدينية لتحقيق هذا الهدف المنشود . وحقا قد فازوا في مرامهم .

كما أن هذه الأرض المليئة ريت في حضنها الحنون بعض العباقره الذين خلد أسماءهم التاريخ لأجل خدماتهم الكريمة ومآثرهم الجليلة ... فمن أهم وأعظم إسم في هذا الصدد هو محي الدين أحمد أبو الكلام آزاد الذي لقب فيما بعد بإمام الهند - قد طلعت هذه الشمس المشرقة من مطلع الحجاز في جوار بيت الله الحرام وأشرفت بنورها في سماء الهند ، أشرفت وما أحسن إشراقها ! حتى تضاه لت جميع النجوم الليرة وخسفت جميع البدر الزاهرة أمام أشعتها الباهرة ...

قد كرس آزاد حياته كلها لخدمة القوم والوطن وبذل مجهودات جبارة في الكفاح ضد المستعمرة الأجنبية . وكانت حياته ذات أبعاد متنوعة، اتصفت بصفات جمة . ورد جميع المناهل معرفة ، واعترف من كل النبايع غرقة - فكان عالما ومفسرا ، محققا ومورخا ، أدبيا وشاعرا ، كتب كل من لديه مقدرة على الكتابة حول هذه الشخصية الليرة - وحاولوا أن يبرزوا جميع جوانب حياته ، علمه وفقهه ، ثقافته و أدبه ، أسلوبه وإنشائه . ولأن أكثر ما اهتموا بها هي وجهاته السياسية

في الهند. لأن معظم حياته مليئة بالمغامرات السياسية، ولكن هناك جانب هام من حياته لم يمسه أحد بعد - وهو نبوغه في اللغة العربية... ومعلوم أنه قد تربي في حضن اللغة العربية وروضت عقليته في روضة العلوم الإسلامية وفقهها... وكانت الكتب العربية في مطالعته طوال حياته... مع ذلك لم أجد أحدا يبرهن هذا الجانب الهام من جوانب حياته.. فبدأ لي أن أقوم بالبحث عن هذا الجانب المهم في حياته، وأجعله موضوعا لكتابة البحث العلمي لنيل شهادة ماجستير في الفلسفة، فهذا هو بحث وجيز حاولت هُنا أن أبرهن هذا الجانب الهام من حياة أبي الكلام آزاد وسميته "نبوغ أبي الكلام آزاد في اللغة العربية بخصوص في ضوه ترجمان القرآن" وقد قسمت هذا البحث في ثلاثة أبواب رئيسية وكل باب له عدة فصول. فالأبواب الأول في المدخل لحياة أبي الكلام آزاد، وفيه أربعة فصول.

الفصل الأول: ترجمة موجزة لحياة مولانا أبي الكلام آزاد.

الفصل الثاني: مولانا أبو الكلام آزاد وعبقريته.

الفصل الثالث: ميادين حياة "آزاد" المتنوعة.

الفصل الرابع: مولانا آزاد في مجال الصحافة.

والباب الثاني في نبوغ أبي الكلام آزاد في اللغة العربية و براعته فيها وقسمت هذا الباب أيضا الى ثلاثة فصول.

الفصل الأول: براعة أبي الكلام آزاد في اللغة العربية.

الفصل الثاني: نماذج براعته في اللغة العربية.

الفصل الثالث: الأعمال المترجمة له (من العربية الى الأردية).

أما الباب الثالث فقد ركزت فيه على دراسة مؤلفه الشهير "ترجمان القرآن" وقسمت هذا الباب على نفس المنوال الى أربعة فصول.

الفصل الأول: تعريف موجز لترجمان القرآن.

الفصل الثاني: مكانة "ترجمان القرآن" العلمية.

الفصل الثالث : السير السيد أحمد خان ومولانا آزاد .

الفصل الرابع : ادراك أبي الكلام آزاد للآيات القرآنية .

ثم وصلت الى الخاتمة ، وحاولت فيها أن أذكر أهم النتائج التي وصلت اليها أثناء دراسة هذا البحث . وهي فى الحقيقة عصارة هذا البحث الوجيز .

هكذا ينتهى هذا البحث المتواضع بمن الله وكرمه ، بذلت قصارى جهدى

فى جمع المادة العلمية ونظمها وتنسيقها - وحاولت أن أسير على المنهج الذى

أرشد اليه المشرف المكرم على هذا البحث وأعترف بقصورى أنى لم أوف بحق

الموضوع لعدم توفر المراجع فى هذا الباب . لم تكن هناك كتب عربية عن حياة أبى

الكلام آزاد وخدماته إلا قليلا نادراً . فمن الطبيعى راجعت الى الكتب المتواجدة

باللغة الأردية أو الانكليزية حول هذه الشخصية النيرة المعترفة بعبقريته .

فهذه هى عصارة دراستى حول الموضوع ، فإن أصبت فهو من فضل الله و

منه وتوفيقه وإن أخطأت فالاعتذار إليكم . والعذر عند كرام الناس مقبول .

ضياء الرحمن الأعظمى



١٨ / يوليو عام ٢٠٠٠ م

جامعة جواهر لال نهرو

نيودلهى - ٦٧

الباب الأول

المدخل

لحياة مولانا أبي الكلام

آزاد

الفصل الأول

في

ترجمة موجزة لحياته آنرا

نبذة تاريخية :

محي الدين أحمد المكنى بأبي الكلام آزاد ووالده مولانا خيرالدين بن

مولانا محمد هادي بن شاه محمد أفضل بن مولانا محمد حسن (١).

ولد أبو الكلام آزاد في مكة المكرمة في جوار بيت الله الحرام ، كان

يسكن والده في حي اسمه 'قدوة' متصلة بباب السلام - وإنه ولد في أواخر

القرن التاسع عشر للميلاد ، كما ذكر أبو الكلام آزاد بنفسه سنة ولادته أنها

١٨٨٨ م ، واختلف الباحثون في تاريخ ميلاده ، وقد حقق مالك رام وقال :

” الصحيح أنه ولد في ما بين التاسع من شهر أغسطس إلى

السادس عشر من شهر سبتمبر عام ١٨٨٨ م (٢) وهذا يناسب مع إسمه

التاريخي "فيروز بخت" (٣)

كان أبو الكلام أزا دينتمى إلى أسرة عريقة في الدين - وكان حباه الله

ذهناً حراً متنوراً منذ صباه ، فاكتشف لنفسه طريقاً جديداً في ميادين

الدراسة والفكر والتعبير ، ولم يجعل التقليد الأعمى سائغاً لحياته لنفسه قط -

درس الكتب المنهجية في لغتي الفارسية والعربية ، الكتب الدينية المعتمدة

ذات الأهمية البالغة ولم يرويه فحسب بل أخذ يتعرف على العلوم الغربية

أفكارها وأيدلوجياتها من خلال مطالعته الشخصية حتى صار ذهنه ملتقى

رائعاً للقديم والحديث يمتاز بطلاوة الأفكار وعضاضتها - وسنذكر هذا

الجانب من حياته في الصفحات الآتية .

(١) تذكرة : لأبي الكلام آزاد ص ٣١ أيضاً ص ٢٨٩

(٢) عن أبي الكلام آزاد : مالك رام ص ٤

(٣) تذكرة : لأبي الكلام آزاد ص ٣١١

أسرته :

لم تكن أسرته أصلاً من أسرة هندية بل كانت أسرة وفدت على الهند من 'هواة' من بلاد الافغان أيام الامبراطور الهندي 'بابر' المغولي الذي أسس الدولة المغولية أو التيمورية في الهند سنة ٩٣٢هـج. ١٥٢٦م. واستقرت في مدينة 'آغرة' أولاً ثم انتقلت إلى دلهي - وكان أحد أجداده 'مولانامنور الدين' يشغل وظيفة 'ركن الدين' وهي وظيفة يشرف فيها على التعليم في الدولة في عهد الامبراطور العظيم 'شاه جهان' وكانت أيامه تعتبر العصر الذهبي في دولة المغول...وحينما أخذ شأن هذه الدولة يضمحل بعد الامبراطور 'أورنجزيب' أصبح كل شيء فيها بيد الانكليز تدريجياً حتى الامبراطور القابع في قلعته 'أبوظفر سراج الدين شاه' لم يعد يملك من أمره شيئاً - ففي هذه الظروف توفي جد مولانا آزاد وأبيه وترك ابنه 'خير الدين' والد آزاد - صغيراً فكفله جدة لأمه ورباه تربية دينية صوفية و لكن الجد لم يطق المقام في دلهي - وهو يرى أشلاء الدولة الإسلامية تتمزق - والانجليز يتحكمون في كل شيء فيها - فاستقر رأيه على الهجرة منها بأسرته - ومعه حفيده خير الدين - إلى مكة ليقتضى حياته بجوار بيت الله الحرام - (١)

والده :

كان مولانا خير الدين - والد آزاد - عالماً جليلاً صوفياً متعبداً له أتباع ومريدون في الهند وغيرها - كان قرير العين 'مطمئن البال' منتقلاً بين مكة والهند والبلاد العربية وتركيا ولم يكن معدماً بل كان موسراً فبنى له داراً في

(١) أبو اكلام آزاد: د/ عبد المنعم النمرج ١ ص ٣٩

'مكة المكرمة - ولم يكن معدماً بل كان موسراً فبنى له داراً في مكة المكرمة -
وتزوج بنت أحد العلماء الظاهريين - ثم هو شاب قوي -وعلى علم ودين و
خلق- وفيه غيرة موروثة -

وقد ترك أثره الخالد الحى على أهل مكة وعلى حجاج بيت الله الحرام
إذ قام بمجهودات مباركة لإصلاح عين زبيدة التى قد تهدمت وجف ماءها -
فهب لإصلاحها- وأهاب بالمسلمين فى الهند والبلاد العربية وتركيا أن
يساهموا بأموالهم فى هذا المشروع العظيم وجاءت التبرعات من كل مكان
- وجمع منها حوالى مليونى روبية استطاع بها أن يجدد العين وقنواتها
ويجربى الماء الى مكة وأهلها وقصاها- (١)

وكما عرفنا - أنه كان عالماً جليلاً ترك بعض المآثر العلمية ' وجدنا بعض
الكتب المنسوبة إليه وهى كما تلى :

١- ' السنة الضرورية فى معارف الخيرية' وهو كتاب منظوم -

٢- درج البهية فى ايمان الأهواء الأمهات المصطفوية ' يحتوى هذا

الكتاب على جزئين .الجزأ الأول منظوم ومنثور والجزأ الثانى منظوم -

٣- اسباب السرور لأصحاب الخيور -

٤- عقائد الفريقين .هذا الكتاب باللغة العربية والفارسية والأردية أيضاً(٢)

وقد ذكر ابوالكلام آزاد فى كتابه "همارى آزادى" - قد نال أبى مكانة

مرموقة و ذاع صيته فى العالم الاسلامى كله لما اصدر كتابه فى مصر باللغة

(١) أبو الكلام آزاد : د/ عبد المنعم النمر ص ٤٠

(٢) مولانا أبو الكلام آزاد: خليق انجم ص- ١٦

العربية بعشر مجلدات ضخمة - (١)

ولكن لم نقف على هذا الكتاب الذى ذكره ابوالكلام آزاد 'وماحتواه.
لعل هذا هو الكتاب الذى ذكرته 'صفية مزمل' حيث تقول :
"قد قام بترتيب كتاب هائل منشود بعشر مجلدات ضخمة 'نشر واحد
منها أو اثنان فى مكة والبقية فى مصر . وكان اسم الكتاب "نجم المبين فى
رجم الشياطين" والذى قد جعله متحجباً لدى الباحثين ونخبة العلماء
المتقنين ."

وكان خطيباً بارعاً مؤثراً رحبه أهل مكة ترحيباً حاراً ، وكان تابعاً
لمذهب القادرية فى التصوف ، وهو أول من سمح له لإلقاء المحاضرات
والمواعظ والارشادات فى بيت الله الحرام فى مكة المكرمة . (٢)
وقد حدث له حادث فى يوم من الأيام ، قد انزلق وكسرت ساقه وهو
فى جدة وحاول علاجها بما تيسر له ، لكن العلاج لم يفلح فأشار عليه
أصدقاؤه أن يسافر الى كالكوتة حيث العلاج متوفر هناك - فسافر . . . وهناك
ألح عليه أحبائه أن يستقر ، فاستجاب لرغبتهم واستقر فى كالكوتة مع
أسرته إلى آخر حياته - حيث لبي داعى الأجل ١٥ / أغسطس عام ١٩٠٨م فى
كالكوتة ودفن هناك فى جنب زوجته الكريمة التى توفيت قبله بعشر سنوات
تقريباً - (٣)

(١) همارى آزادى : ابوالكلام آزاد . ص

(٢) ابوالكلام آزاد : صفية مزمل . ص ٥ (انكليزى)

(٣) أبوالكلام آزاد : د / عبدالمنعم النمر ص ٤١

أم آزاد :

كانت أم آزاد من أصيل العرب اسمها عاليه بيغم بنت أخت الاستاذ الشيخ محمد ظاهر وترى الذى زوجها مولانا خيرالدين لعلمه ورعه ودمائه خلقه ، ولدت فى المدينة المنورة وتربت فى بيئة علمية وتوسمت بالمكارم العالية والأخلاق الفاضلة وتسلحت شيئاً فشيئاً بالعلوم الدينية والفنون العربية. كانت خطيبة بارعة مؤثرة تخطب وترشد فى الأمور الدينية والشؤون الإسلامية أمام حضرة نسوة العرب الفاضلات فى مكة المكرمة خصوصاً بعد صلاة التراويح فى شهر رمضان - وما كانت تعرف اللغة الأردية إلا قليلاً - فقد أحتيجت إلى مترجم للتحدث مع النسوة القادمات من الهند - (١)

ذكر أبوالكلام آزاد نبوغها فى المسائل الدينية وتعمقها فيها فيقول :

مرة سألت امرأة من ملتان مسألة عويصة عن الفرائض

فقد أجابت أمى بعد تدبر بسيط - أنا أتذكر تلك الإجابة و

أشعر أننى لو سئلت مثل هذه المسألة ما استطعت الإجابة

بدون استخدام القلم والقرطاس - (٢)

وكان حضانها أول مدرسة لأبى الكلام آزاد فقد تربي فيها تربية سليمة و تعلم منها المكارم و الأخلاق الفاضلة و الثقافة الدينية من هذه المدرسة العالية و قد ذكر أبوالكلام آزاد قصة تدل إلى عظمة خلقها و زكوة نفسها فيقول: ”كان هناك شخص يسمى حافظ مبارك بخارى يسكن معنا

(١) عن أبى الكلام آزاد : مالك رام ص ٢٩

أيضاً أبوالكلام آزاد : صفية مزمل ص ٨ (انكليزى)

(٢) كتاب غير مطبوع ص ٦٥ نقلاً عن كتاب مالك رام

كان خطأً حسناً استأجره أبا لتبييض مصنفاته ولما كان لا يبالي بنظافة
أثوابه، فقد نبهت مرةً وقلت أنت رجل قدر، فمسمعت أماً هذه الكلمة إلا
وأن وجنتها احمرت بالغضب كأنى أشعر الآن صوتها الرنيم حيث قالت :
”يا عيني لا تقل هكذا، ربما هو أكرم عند الله منك و منّا“ . (١)

لا تدل هذه الكلمات الى أخلاقها الفاضلة فحسب بل أيضاً تدل على
كيفية تربية الولد عند الخطأ . ومع ذلك أن هذه الكلمات مملوءة بالعطف
والحنان مع كونها غاضبة عليه . وهذه الكلمات تدل إلى كنهها في الثقافة
العربية العريقة ودركها في اللغة العربية وأسلوبها الرصين المتين:
هذه هي أم أبي الكلام آزاد وتربى في حضنها وتوسم منها بالعطف والحنان
والعلم والثقافة - ولكن يا للأسف لم تكن معه طويلاً ، فقد لبت داعي الأجل
بعد رجوعها من مكة إلى كالقوتة عام (١٨٩٩م) ودفنت بها -
أخوه وإخواته:

وكان لأبي الكلام آزاد أخ واحد وثلاث أخوات، وهو أصغر من هولاء
كلهم وأخوه أبو النصر غلام يسين المتخلص بـ آه (١٨٨٦-١٩٠٦) أكبر منه
بسنتين أو ثلاث - كان شاعراً أديباً وكاتباً - نال مكانة عالية في المجالس
العلمية والأدبية وذاع صيته بين العلماء المتقنين في وقت قصير .
بدأت تنشر مقالاته في المجالات الفائقة حينذاك مثل 'مخزن' 'خدنج
نظر' 'مرقع عالم' وغيرها - وتلمذ الشاعر الهندي الشهير مرزا داغ (٢)

(١) كتاب غير مطبوع صفحه ٦-٧ مأخوذ من مالك رام . ص ٣٤

(٢) مولانا أبو الكلام آزاد - عابد رضا بيدار أيضاً؛ آزاد - صفيه زممل (انكليزي) (٩)

وكان شغوفاً باللغة العربية ودرك فيها ، وأجاد اللغة الفارسية والأردية والتركية أيضاً - قد ألف كتاباً باسم 'غبطة الناظر' باللغة العربية حول حياة الشيخ عبد القادر جيلانى وحياة عمرخيام ، ورتب كتاباً هاماً على القواعد التركية- قد سافر أبو النصر يسين آه الى الشرق الأوسط عام ١٩٠٥م ومعه أبو الكلام آزاد ولكن لم يوافق لهما الجو فرجع أبو الكلام الى الهند قريباً وواصل أخوه رحلته حتى عرضت له عارضة وبدأت تتدهور صحته الى أن وافته المنية بعد رجوعه الى الهند ببضعة أشهر عام ١٩٠٦- وقد أثنى عليه صاحب مجلة 'عالم كير' - مجلة معروفة وقتئذ - ثناءً جميلاً عند وفاته ذاكراً مقدرته العلمية وقوته البيانية و ذوقه الشعري اللطيف وأسلوبه الرصين الجذاب لدى الجميع (١).

أما أخواته فهي ثلاثة تذكر- زينب بيغم - فاطمة بيغم - حنيفة بيغم - كانت زينب بيغم أكبر الأخوات والإخوان ولدت في قسطنطينية . ولكنها لم يدم بقائها طويلاً فقد إرتحلت الى جوار رحمة الله في حداثة سنها. (٢)

وفاطمة بيغم المتخلص بـ 'آرزو' كانت عالمة متدينة ، ولها مقدرة على اللغة العربية والفارسية - قد عملت طويلاً مع أبيها كسكرتير الخاص وتسوى المراسلات، تكتب وترد عليها عن أبيها - واستقرت في بهوبال بعد ما تزوجت مع 'سعيد أرب' حيث اشتغلت في الأعمال الخيرية لمصالح النسوة والبرامج التعليمية - توفيت ١٣ / أبريل ١٩٦٦ م. (٣)

(١) انظر: ابوالكلام آزاد . صفيه مزمل (انكليزي) ص ٩

ايضاً: ابوالكلام آزاد : عابد رضا بيدار ص ٤٢ - ٤٣

(٢) ابوالكلام آزاد : خليك انجم ص ٣٤

(٣) ابوالكلام آزاد : صفيه مزمل - ص ١٠

أما 'حنفية بيغم' المتخلص بـ'أبرو' المتلقبة بـ'محموده' كانت أيضاً عالمة معروفة قد تزوجت 'مولوى أحمد ابراهيم' من كالكونه - كانت خطاطة جيدة. و كان لها ذوق سليم فى اللغة الأردية وأدبها. و لها كل الفضل فى تحميس آزاد لتعلم اللغة لأردية وتحريضه عليها - وقد تكرر أبو الكلام آزاد لإخته هذه النبيلة لا لأجل حبها الجم إياه وعنايتها البالغة به فحسب بل أيضاً لأنها قد شاركت فى نظرياته وأفكاره وشجعت له فى كل ما بدا له من الأفكار الجديدة والتطلعات الواسعة - توفيت هذه الأخت الكريمة عام ١٩٤٣م حينما كان أبو الكلام آزاد فى سجن أحمد نغرت تحت الإستبداد السياسى . (١)

هذه هى أسرة آزاد قد رسخت جذورها فى العلم والأدب والثقافة العربية العريقة . وكان كل عضو من أعضاء الأسرة على علم ودين وخلق، وها هو الجو الجميل الذى لعب دوراً بارزاً فى بناء شخصية آزاد الذى تهل من أفق (مكة المكرمة) وتلأ فى سماء الهند وتكسب من فيض أنواره المواطنين من داخل الهند و خارجها وتسربت فيوضها وبركاتها فى العالم الإسلامى حتى فى العالم كله . أخلد الله ذكره .

وقد تكون من الخيانة إذا لم نذكر زوجته الحبيبة زليخا بيغم، كانت كريمة النفس ، عالية الهممة ، وكانت ملكة الجمال أيضاً - (٢)

لكن مغامرات أبى الكلام آزاد السياسية لم تمنح له فرصة للإلتفات إليها كثيراً - وهى لم تشكو عليها أبداً بل شاركت فى هذه المغامرة جنباً لجنبه بالجد والمثابرة . ومرضت مرضاً خطيراً وتدهورت صحتها لأجل فرقة زوجها

(١) . همارى آزادى ، ابوالكلام ترجمه بروفييسور محمد نجيب ص ٩٤

طويلاً ولأجل المشكلات المالية أيضاً. حتى توفيت ١٣/ أبريل عام ١٩٤٣م
وكان أبو الكلام آزاد في سجن 'قلعة أحمد نكر'.

لما سمع أبو الكلام آزاد هذا الخبر الفاجع بموت زوجته قد تهدم كيانه
وانجمدت عروقه برهة... كم من مراحل مرت عليه شرب فيها كؤوس مرارة
الحياة . وواجه كثيراً من الأوضاع القاسية العنيفة في حياته لكنه لم يشكو
عليها ولم تزل قدم ثباته - كان صخراً صلباً لا يبالي الأوضاع والأحوال. أياً
كان من الشقاوة والجفافة... ولكن هذه الصدمة العنيفة زلزلت كيانه، قد
تكسرت من داخله ولو لم يظهر بظاهره لشدة غيرته - كتب رسالة إلى
صديقه 'حبيب الرحمان شيرواني' حول هذه الصدمة العنيفة القاسية - لو
رأيت هذه الرسالة لرأيت كيفية تكسره وتهدمه لأجل هذه الصدمة . هذه
الرسالة مليئة بالكيفية الوجدانية ، حبه إياها، لهفه واشتياقه اليها، وكذا
عزمها وثباتها ومثابراتها عند شدة هذه المغامرات السياسية التي كان بها
آزاد (١). ميمون (١٩٤٣).

”هكذا انتهت حياتنا الإزدواجية التي استغرقت ٢٦ سنة. وحالت بيني
وبينها ستار الموت الدائم ونسطيع الآن أن نرى بعضنا بعضاً ولكن من وراء
هذا الستار.... لم يتركني ثباتي وعلو همتي لكني أشعر أن قدمي شللت .
وكان هناك قبر في قلعة أحمد نغر فقد ذكره هذا القبر مرثية متمم بن
نويره.

لقد لامني عند القبور على البكاء رفيقي لتذراف الدموع السوافل^٩
فقال أتبكي كل قبر رأيت له لقبر ثوى بين النوى فالدكك

فقلت له أن الشجا يبعث الشجا فدعني فهذا كله قبر مالك (١)

وكان آزاد قدوة في الصبر والثبات والتحمل عند الشدائد. وإنما ترى
السكينة والامتانة على وجهه عند أي نازلة أو فاجعة أو كارثة . لكن اليوم
حينما وصل إلى كالكوته بعد خروجه من السجن وزار قبر زوجته الحبيبة ،
تكسرت جميع رباط الضبط والصبر والتحمل . وانفجرت عيناه بالدموع -
تنكب رأسه على قبرها طويلاً . وأفاض جميع ثقبات القلب والعين بسهيل
الدموع . وقدم آزاد أزهار هذه الدموع السوافك لحبيبتة وداعاً لها. (٢)

(١) ابوالكلام آزاد : خليق انجم ص ٤٦

غبار خاطر - ابوالكلام آزاد ص ٨٣٨ -

ايضاً . ديوان الحماسة لأبي تمام - باب المراثي .

(٢) . ابوالكلام آزاد : خليق انجم ص ٢٨

الفصل الثاني

مولانا أبو الكلام آزاد

و

عجبرينه

أبو الكلام آزاد :

أما أبو الكلام آزاد فكما أشرت آنفاً أنه كان عبقرياً ، ذكياً فطيناً ، دمث الخلق ، نفيس الطبع ، محباً للعزلة ، ذائظرة غائرة ، بعيدة المدى ، واسع المطالعة ، قوى الذاكرة ، وجمعاً رائعاً بين القديم و الحديث - لو لم يضع قدمه في الميدان السياسة لكان عطاءه في مجال العلم والأدب أكثر وأضخم ، لكنه رغم معاشته الإضطرابات والضججات كتب ما لا يستهان بقيمته مع أنه لم يكتمل ، بحيث لا تمس غضاضته يد الذبول . (١)

قال البانديت جواهر لال نهرو في شأنه :

” منذ ثلاثين سنةً قابلت مولانا آزاد لأول مرة في حياتي ، كنت قبل ذلك بزمن قد سمعت كثيراً عن تبحره في العلوم و عن اهتمامه بالقضايا الوطنية بكل ما فيه من عزم و ثبات و عن اعتقاله خلال الحرب العالمية الأولى - فكنت تواقاً لمقابلته ، كان المولانا في ذلك الوقت شاباً يافعاً إلا أن علامات الذكاء والمتانة كانت بادية على وجهه ، هذا ما جعله أن يجد مكانة مرموقة بين كبار الزعماء في حزب المؤتمر “ . (٢)

وقال أيضاً :

’ الحقيقة أن شخصيته كانت فذة نادرة في العلم والمعرفة‘ وقد أجبرته الظروف على أن يحيا حياة فيها اضطراب وعدم استقرار - (٣)

أيضاً قال :

’ اليوم يتمنى الإنسان أن يصل الى القمر . لكن لا يوجد لدينا

(١) ثقافة الهند : ١٩٨٨ ص ٢

(٢) نفس المصدر : ص ٥

(٣) نفس المصدر : ص ٦

ضبط النفس أو المروءة و السموحة أبدأ كان المولانا ممثلاً لهذه الثقافة التي تولدت باندماج ثقافات عديدة فيما بينها ، كان المولانا يملك فطانة باهرة وذكاءً خارقاً ، ومقدرة فائقة في الوصول الى جذور المسائل^(١) .

قال عبد الماجد دريا باري :

”
ما
قد جمع في ذهنه علوم متعددة فتون مختلفة يستحضرها

في كل حين . سواء كان هو الطب أو الهندسة أو الالهيات ، الفقه أو المنطق والفلسفة ، الشعر أو الأدب ، الموسيقى ، التاريخ أو السياسة ، كان يتكلم على أى موضوع ‘ وفى أى وقت كان كماهر فن من هذه الفنون كله ، وله مقدرة عظيمة وملكة ساحرة على اللغة العربية وآدابها... وخطبته كأنها مرقعة من فصاحة و بلاغة لا مثيل لها . أو هي مذهبية من سلسلة الذهب... لما جاء السيد رشيد رضا المصرى لرأس حفلة في ندوة العلماء عام ١٩١٤ . رأيت أبا الكلام آزاد يعنى هاتين أنه كان أول من يتكلم مع رشيد رضا باللغة العربية الفصيحة بكلطلاقة و بساطة بدون أى تكلف وتذبذب . (٢)

وأنه قد ترجم خطبة رشيد رضا باللغة الأردنية ترجمة رائعة لا ترى أنها ترجمة بل ترى كأنها هي الأصل خرج من أعماق قلبه... بدأت رحلته العلمية من مهد مكة المكرمة وسماه أبوه فحى الدين أحمد . لكنه لم يمكث هناك طويلاً . فقد رحل أبوه مع أسرته الكاملة إلى كالكوته .

(١) . ثقافة الهند : ص ٧ (١٩٥٨)

ذكر عبدالمنعم النمر أن أباه رحل مع أمه بعد ولادة آزاد بسنتين ومن الطبيعي أنه في هذه السن كان قد بدأ يتعلم النطق العربي كوسطه الذي نبت فيه ، وإن كان ذلك لا يترك آثاراً واضحة في لغته ما لم تتعهد هذه الباكورة (١) أنا أعتقد أن هذه المدة لا تكفى لتعلم أى لغة ولايمكن مثل هذه الباكورة النطق السليم ويتعرف رموز تلك اللغة واسرارها .

وقد حقق مالك رام في هذه النكتة وقال :

' قد وجدت أثناء بحثى ودراسة آزاد أن أباه رجع من مكة المكرمة الى كالكوته نهائيا عام ١٨٩٨ م. (٢)

معنى هذا الكلام أن آزاد مكث في مكة بعد ولادته عشر سنوات تقريبا - وقد تؤيد هذا القول حفلة 'عرف بسم الله' التي عقدت في الحرم المكي بيد الشيخ عبدالله وكان عمره حينذاك خمس سنوات. (٣)

و ختم القرآن الكريم في سنتين وحفظ سورة يسين و سورة قاف على ظهر قلبه. (٤)

هذا دليل قاطع أنه لم يرجع بعد ولادته بسنتين بل مكث بعدها الى مدة أجاد فيها اللغة العربية و نبع فيها - وهى مدة ثمانى سنوات على الأقل إن لم يكن أكثر منها - كما كانت أمه عربية من المدينة بنت عالم فاضل ، ووالده هندی

(١) ابو الكلام آزاد : عبدالمنعم النمر . ص ٤١

(٢) كچه ابو الكلام كے بارے میں : مالك رام . ص ٣٤

(٣) آزاد كى كهانى : ابو الكلام آزاد ص ٣٤

(٤) ابو الكلام آزاد : خلیق انجم ص ٣٧- ٣٨

ولكنه تعرب، فقد مكث في مكة نحو ثلاثين عاماً. وهي مدة كافية لمثله أن ينطلق لسانه انطلاقاً عادياً باللغة العربية فوق أنه عالم جليل وصوفى متعبد وله شهرته وأثره الجليل في مكة وفي الهند - لكن القدر لم يمهل والدته بعد سفرها للهند طويلاً حيث توفيت بعد ذلك بسنة ودفنت بترابها، وفي أحضان هذا العالم الصوفى المجاهد في كالكوته تربي الصبي 'محي الدين أحمد' الذي فقد أمه صغيراً. (١)

فمن الطبيعي أن تكون نشأة آزاد وتربيته متسقة بما مع الجو الذي يعيش فيه والده .

فقد واصل دراسته بعد وصوله الى الهند، لما كان والده كارهاً للانجليز ومدارسهم ونسق حياتهم كراهةً نابعة من العقيدة - وهو رجل صوفى بحت، قد حافظ محافظة تامة على ابنه بحيث لا يدفعه الى المدارس الانجليزية في تعليم ابنه للمنهج الذي تسير عليه المدارس الاسلامية العربية . ويظهر أن الوالد كان حريصاً كل الحرص على تربية ابنه وتعليمه، فلم يرسل ابنه كتيبة أبناء الآخرين الى المدارس الدينية بل أخذ يعلمه هو نفسه، ثم استقدم له بيته العلماء المتخصصين، ليتولوا تعليمه تحت رعايته وتوجيهه ومع مشاركة منه أيضاً. (٢)

كان مولانا خيرالدين، أبو آزاد، يعلمه العربية و الفارسية والفقه ثم يعلمه مولوى محمد يعقوب العربي والمنطق وكان من اساتذه مولوى نذير الحسن تلميذ مولوى عبدالحق خيرآبادى الذى علمه المطول، الشمس البازغة

(١) ابو الكلام آزاد : عبدالمنعم النمر ص ٤١

(٢) ابو الكلام آزاد : عبدالمنعم النمر ص ٤٤

وأيضاً من أساتذته مولوى محمد إبراهيم، مولوى محمد عمر و كذا شمس

العلماء مولانا سعادت حسين الذين علموه علوماً مختلفةً. (١)

كانت تبدو عليه منذ نعومة أظفاره علامات الذكاء والنبوغ مما جعل يقبل على ما يتعلمه وينبغ فيه. فقد اكتمل دراسته في وقت مبكر وفرغ من

الدرس النظامى وهو فى السادس عشر من عمره. (٢)

وقد ذكر أبو الكلام آزاد كيفية دراسته واكتماله حيث يقول :

‘كان والدى من المؤمنين بالتقاليد القديمة، لم يقل قط بالتعليم الغربى فلم يخطر بباله أن يدربنى تدريباً حديثاً أو يعلمنى على نمط جديد. فقد كان يعتقد أن التعليم الجديد سيقضى على العقيدة الدينية ومن أجل هذا اهتم بتعليمى وفق الطرق التقليدية المعهودة. وكان منهاج التعليم القديم السائد بين مسلمى الهند هو أن يكون تعليم الأطفال أولاً اللغة العربية والفارسية وعقب حصولهم على إلمام ما بهاتين اللغيتين، يتعلمون الفلسفة والحساب والفلك والجبر، وكل هذه العلوم باللغة العربية. وكان لهم بجانب ذلك منهاج لدراسة الدين الإسلامى^١ يعتبر جزءاً أساسياً لهذا التعليم، واعتنى والدى بتعليمى فى داره ولم ير أن يرسلنى الى أية مدرسة، بالرغم من أنها كانت هناك ‘مدرسة كالكوته العربية الإسلامية‘ لكن والدى لم يطمئن بها إطمئناناً تاماً، وعلمنى بنفسه فى بداية الأمر، ثم عين عدة مدرسين لتدريس العلوم المختلفة، وحرص دائماً على أن أتلقى كل فن من استاذة المتخصص.

977; 21: 9

D156
2890

(١) أبو الكلام آزاد : خلیق انجم ص ٣٨

(٢) كچه ابو الكلام آزاد کے بارے میں : مالک رام ص ٣٥

وكان من المعتاد أن يتخرج الطلبة في العلوم المتداولة طبقاً لمنهاج التعليم القديم وأعمارهم تتراوح بين ٢٠- ٢٥ سنة ، وهذا يشمل الفترة التي كان المتخرج يتولى التدريس فيها لبعض الطلاب ليتأكد هو أو يتأكد أساتذته من حذقه وبراعته في العلوم التي تلقاها -

أما أنا فقد كنت في السنة السادسة عشر من عمري حين انتهيت من دراستي وجمع والدي نحو خمسة عشر طالباً كنت أعلمهم الفلسفة والمنطق والحساب للدرجة العالية - (١)

وكان تخرج آزاد وهو في هذا السن اولى علامات الذكاء الفطري الذي كان له أثره في حياته كلها...

وكان شغوفاً بالمطالعة الواسعة خارجاً عن المنهج المقرر للدرس النظامي - فبدأ يقرأ كل ما بدا له أن يقرأ على رغم مرضاة أبيه - تعلم مبادئ اللغة الإنجليزية بيد محمد يوسف جعفرى الذى كان أمين الامتحانات لدراسة المواد الشرقية فى كالكوته حينذاك - وقد أجاد فى هذه اللغة فى وقت قصير بالمطالعة الذاتية استعانة بالقواميس . واستطاع أن يقرأ ويفهم اللغة الإنجليزية جيداً فى مدة قصيرة . وكانت اللغة العربية هى لغة الأم ، فكانت أبواب علوم الشرق والغرب تفتحت أمامه على مصراعها (٢) .

فقد تتقف ثقافة واسعة بكلتا الثقافتين من الشرقية والغربية ، فكان عالماً باللغات العربية والأردية والإنجليزية وله إلمام واسع باللغة التركية و الفرنسية ، قادراً على أن يطلع على المعلومات الجمة المتواجدة فى تلك

(١) مجلة ثقافة الهند (١٩٥٨م) ص ٢٤-٢٥

(٢) ابو الكلام آزاد : صافية مزمل - (انكليزى) ص ١٥

اللغات . (١)

هكذا قدبرزت هذه الشمس المشرقة من سماء أرض الهند وأنارت الشرق والغرب وأعجبت المعاصرين من العلماء المثقفين حتى اعترفوا بتبحر علمه وتعمق فكره وقوة حفظه وحدة نكائه وتقب ذهنه وبلاغه قوله وفصاحة لسانه ووسعة ثقافته وكثرة تطلعاته الى آفاق جديدة بعيدة المدى .

فقال نيازفتح بورى عن تبحر علمه :

'ما عرفنا 'آزاد إلا بقدر ما أراد أن نعرفه . هناك كثير من جوانب حياته لم تظهر على الناس... وقال أيضاً : "أنا أعتقد - أنه لو اتجه الى الشعر العربى لكان بمثابة المتنبى أو بديع الزمان الهمدانى ، ولو اتخذ الإصلاح الدينى شعاراً له لكان ابن تيمية فى عصره، ولو أوقف نفسه للعلوم الحكمية لما يقل قدره من ابن رشد وابن طفيل المتكلم والفيلسوف، وإن اتجه الى الشعر الفارسى وأدبه لأحتل مكانة من بين 'عرفى ونظيرى' ولو مال الى التصوف وإصلاح الخلق لوصل الى درجة الغزالى والرومى - ^٢ (وسلك مسلك الإعترال لكان واصل بن عطاء الثانى فى عهده". (٢)

لم يبالغ نيازفتح بورى فى قوله ولم يجامل فيه ، بل هذا هو حقيقة الحال واعترف بهذا كل من رأى آزاد من قريب - وقال الغاندى عن علمه وتبحره :

(١) همارى آزادى - ص ١١-١٢

أيضاً - تحريك آزادى ويكجهتى: ابوالكلام آزاد' ص ١٥-١٢

'أنا أعتز بمصالح آزاد في الشئون القومية منذ عام ١٩٢٠ م. لم أر أحداً أعلم منه عن الإسلام. وهو عالم جليل في اللغة العربية وكان حبه للوطن رسخت جذوره كما كانت عقيدته في الإسلام، وهو أكبر زعماء المؤتمر القومي لعموم الهند وينبغي لكل دارس السياسات الهندية أن لا يغمض عينيه عن هذه الحقيقة'. (١)

وقال بانديت جواهر لال نهرو عنه :

كان المولانا سياسياً منفرداً من طراز وحيد، كان بعيداً عن الأساليب العادية للسياسة وأمزجتهم التي تجعلهم قادرين على شن حملة أو سماع انتقاد وهم جامدون بدون أن يتأثروا بها، كان مزاجه على عكس ذلك تماماً. كان المولانا خجولاً و محباً للعزلة إلى حد كبير. لكن كان في صدره قلب حساس لا يحب الضجة والضوضاء والصياحة والغوغاء. مع أنه كان خطيباً بارعاً وقال أيضاً:

"كلما أرى المولانا أذكر أولئك الفرنسيين العباقرة الذين عاشوا قبل الثورة الفرنسية، كانت للمولانا بصيرة نافذة وإلمام تام بتاريخ الأمم الماضية. وقد زادت هذه البصيرة بعبقريته النادرة ورويته الثاقبة بنظرة غائرة وزاوية عجيبة. كان بارعاً في القول مسلحاً بالحجج والبراهين متصفاً بالمتانة والإتزان. كأنه تلقى العلوم في معهد تدرس فيه علوم المنطق والفلسفة القديمة". (٢)

و قد وصل آزاد إلى هذه الذروة العالية في العلم والثقافة برياضية ذهنية

س بارضتم

(١) أنوار أبي الكلام ص ١٩٢

(٢) شأبراه (مجلة شهرية. دہلی.) عدد خاص عن آزاد فروری. مارس ١٩٥٩ م ص ٧ ٢٤

طوال عمره. وانهمك في المطالعات الواسعة والتطلعات الجديدة منذ أن بلغ أشده، وعكف عليها إلى آخر حياته. كثيرا ما كان يجلس في ناحية في الخلوة والسكون ويبيده كتاب استغرق في مطالعته. (١)

وكان يفرح أبوه لإشتياقه إلى ازدياد العلم ولكنه يقول: يُرى أنه يفسد صحته لكثرة المطالعة. فيقول آزاد في آخر زمانه:

لا أدري أفسدت صحتي أم صلحت لكن مرض قلبي مرضا لا يبرأ منه إلى آخر حياتي. (٢)

(١) غبار خاطر. ص ٨

(٢) غبار خاطر. ص ٢٥٣

الفصل الثالث

مبارزين حياة أزالو السنواعة

خمسة أدوار لحياة أبي الكلام آزاد

لوقسمنا حياة آزاد إلى أدوار لوجدنا أن هناك خمسة أدوار تذكر

لحياة آزاد.

فالدور الأول: هو ولادته وصباه إلى السن السابع عام ١٨٩٥ م. حيث ولد في مكة المكرمة في جو عربي أصيل. تلقى بعض مبادئ العلوم الإسلامية من بعض الشيوخ هناك. ختم القرآن وحفظ بعض أجزاء القرآن على ظهر قلبه.

والدور الثاني: هو تعليمه التقليدي إلى السن الخامس عشر أو السادس عشر. حيث تلقى في هذه المدة جميع العلوم المتداولة في الدرس النظامي. وقد برع في اللغة العربية، والفقه والمنطق والفلسفة والعلوم الإسلامية الأخرى في وقت مبكر. وتخرج من الدرس النظامي وأصبح مدرساً لخمسة عشر طالباً في بيته كما ذكرت في الصفحات الماضية. ولكن لم يقتنع على هذا النظام التقليدي بل أجبرت طبيعته إلى التطلعات الجديدة. فبدأ يقرأ كل ما يجد من العلوم العصرية شرقية كانت أم غربية. حتى قدانغمس في مطالعات الأديان الأخرى المتواجدة في العالم. (١)

وبدأ نوقه الأدبي يزدهر في هذه المرحلة حتى ينظم بعض المنظومات أو الغزليات وتلمذ في هذا الشأن بعض شعراء عصره مثل أمير

ميناى وداغ^(١) وأرسل غزله الأول في مجلة ” ارمغان فرح“ بوميائى..
وتخلص نفسه بـ ”آزاد“ بمعنى الحر الذى يدل إلى حريته الكاملة فى الفكر
والتخيل والثقافات والمِثَلِمات^٢ نرى هذه الحرية فى حياته كلها...
وقدمال إلى فن الترجمة فى هذه المرحلة وبرع فيها حيث قدترجم
كثيرا من المقالات والرسائل وبعض الكتب المهمة^٣ بعضها من العربية إلى
الأردية مثل ’نوراللمعة فى فضائل الجمعة‘. ’انيس اللبيب فى خصائص
الحبيب‘ وبعضها إلى الفارسية نظرا لأهميتها.سنوضح هذا الجانب فى
الصفحات الآتية.

الجزء ١

قدأجرى فى هذه المدة كثيرا من الأخبارات والمجلات تلو بعد تلو
مثل لسان الصدق. ’نيزنغ عام‘ ’الرهلال والبلاغ‘ سنجعله فصلا مستقلا فى
هذا الصدود. . وقدتأثر اثناء هذه المدة بأفكار سرسيد أحمد خان فقد تأثر
بعقائبه وجديته واجتهاد فكره.(٢) كما أنه قدتأثر بمقالات محمد عبده
ورشيدرضا المصرين. الذين قاما بإصلاح حال المسلمين فى مصر
والشرق الأوسط. واجتهدا ضد سيطرة الغرب على الدول العربية خاصة
مصر.(٣)

أما المرحلة الثالثة: فهى مرحلة الشك واجتهاد كشف الحقيقة واختيارها
بدون أى حائل. وتستغرق هذه المرحلة خمس أو ست سنوات. وقدنكر
ابوالكلام آزاد بنفسه هذه المرحلة وقال:

”أنا أتذكر جيدا أنى لم أبلغ خمسة عشر من عمرى حتى بدأت

(١) مولانا ابوالكلام آزاد... رشيد الدين خان ص. ٢٥٠

(٢) ابوالكلام آزاد: رشيد الدين خان ص. ١٠٧

(٣) ابوالكلام آزاد: (دوغلاس. (الانكليزى) ص. ٧٧

تضطرب سكينته القلب بدأت تقرس في قلبي اشواك الشكوك والشبهات.
وأحس أن الأصوات المروجة التي نسمعها من كل جانب ينبغي أن تكون
غيرها أيضًا. ليس هذه هي دنيا العلم والحقيقة أمامنا فحسب. بل لابد أن
تكون هناك عوامل أخرى وراء هذه الحقيقة الدانية.

وبدأت هذه الشوكة تتكبر في قلبي مع عمرى حتى جاء الوقت أن هزت
جميع كيان العقائد والأفكار الذي بناه التعليم والأسرة وكل ما حوله في عدة
سنوات... ثم حان الحين أنى قد هدمت هذه الجدران المتزلزلة بيدي و
أسست مكانها لبنة بنية جديدة. (١)

ثم قال: "إن أكبر سدنى تربية ذهن الانسان هي العقائد التقليدية.
ولا تكبله اى شئ كما تكبله سلاسل هذه العقائد التقليدية. ولا يستطيع أن
يكسرها وينجو منها لأنه لا يريد أن يخرج من مقر هذا التقليد الأعمى... وكان
تعليمى مصبوغا بصبغة العقائد الموروثة... لكن أول شوكة الشكوك التي
غرست في قلبي كانت ضد هذا التقليد الأسمى. لا أدرى كيف ولماذا
اضطربت في قلبي هذه الشوكة لكنى اعترف أن هذا الاضطراب أصبح دليلا
ومعلما لطريق الإيقان والإيقان وهذا هو الاضطراب الذى أوصلنى إلى الهدف
المنشود من اليقين والطمأنينة. (٢)

فلم يقنع هذا الشاب اليافع ما تعلمه من العلوم التقليدية والعقائد
الموروثة بل كانت له عقلية تتطلع إلى ما وراء ذلك. فقد يسره الله له الاعتناق
من هذا القيد. وانطلق في حياته على سجيته. وأخذ يتطلع إلى مجال أوسع

(١) غير خاطن: ابو الكلام آزاد، ص. ٩

(٢) المصدر السابق، ص. ١٠١.

فى العلوم والمعرفة. و شأنه فى ذلك شأن كل شاب متفتح الذهن لا يقع بما وصل إليه من معرفة فى دراسته التقليدية. (١)

أما المرحلة الرابعة والخامسة: فى مرحلة مليئة بالمغامرات السياسية. واستغرق ^{تس} هذه المرحلة ما بين ١٩١٥- إلى ١٩٤٧ م. ومن ١٩٤٧ إلى ١٩٥١ م وهى سنة وفات هذا الرجل العملاق؛ فقد أراد وحاول أن ينفذ فى البلاد كل ما عرف أنه هو الحق. فقد شمر الجذ ضد الاستعمار الانجليزى. ونفخ روح الحرية والاستقلال فى أبناء الهند. وهو مسلم سوى متكامل يعتقد أن الاسلام يدعو إلى التحرير والمساوات والحق والمروءة الانسانية. وكان عضوا للمؤتمر القومى لعموم الهند منذ عام ١٩١٥ م أو قبله ولكنه قد نال مكانة مرموقة فى هذه المنظمة عام ١٩٢٠ م. وأنتخب رئيسا لهذه المنظمة عام ١٩٢٣ م مع كونه شابا كان عمره حينذاك أقل بقليل من الرؤساء الذين انتخبوا قبله لرئاسة هذه المنظمة. وانسلك مع هذه المنظمة طوال حياته. وقد شارك فى حركة الخلافة وعدم المؤالات بكل جدية وانشراح قلبه. قدسافر إلى كثير من مناطق الهند لأجرا وقد سافر خارج الهند لتحقيق هذا الهدف المنشود. وقد واجه كثيرا من العوائق فى هذا الصدد؛ كم من مرات سجن واعتقل. ولقى كل قساوة الدهر بكل سكينه وطمانينة؛ توفيت زوجته الكريمة وهو فى السجن وتوفيت اخته الحبيبة وهو فى سجن أحمد نغر. ويعتبر هذا من أشد قساوة الدهر. (٢)

ولكن قد أثمر اجتهاده ومثابرته على الشدائد حتى نالت الهند

(١) أبو الكلام آزاد: عيد المنعم النمر. ص. ٤٦.

(٢) انظر: أبو الكلام آزاد. صفيه مزمّل. ص. ٢٦ (انكليزى)

أيضا. غيار خاطر: أبو الكلام آزاد. ص. ٢٤٣

استقلالاً ١٥ / أغسطس عام ١٩٤٧ م. وكان هو النصر العظيم والفتح المبين
للهند التي قد برزت كدولة مستقلة وتحررت من السيطرة الخارجية تحريراً
كاملاً. (١)

و بعد هذا الانتصار العظيم بدأت مرحلة حياته الأخيرة بأعباء
المسئوليات الجديدة على كاهله - فكان عليه أن يدبر أمور الدولة لتحسين
العلاقات النافعة والمستمرة بين بلده والبلاد الأخرى... وكان أحب الناس
لاتحاد المسلمين والهندوس في الدولة. ولم يرغب أبداً في تقسيم الهند
الذي قد تسبب نهائياً إلى سفك الدماء وازدراء حرمة الإنسانية وأقدارها
من كلتا البلدين - قال مولانا آزاد في خطبة له عن هذا الإتحاد.

'لو نزل ملك من السماء ووقف على منارة قطب و أعلن أن الحرية
ستحصل في يوم و ليلة بشرط أن تستغنى الهند عن إتحاد المسلم
والهندوس، فأنا استغنى عن هذه الحرية و لا أستغنى عن ذلك الإتحاد. لأن
هذه الحرية والاستقلال لو تأخرت في تحصيلها لكانت هي خسارة الهند
فقط و إن فشل إتحادنا لكانت هي خسارة الإنسانية بأجمعها. (٢)

وقد قبل وزارة التعليم والثقافة نظراً لأهميتها البالغة للجيل الجديد
فقد أصلح النظام التعليمي في البلد لكي يتسلح الطلبة بالذهن المتفتح

(١) انظر ابوالكلام آزاد: صفيه مزمل (انكليزي) ص. ٢٧

القوى، والإحترام المثمر للأقدار الإنسانية . ويتداوى بها جميع الظلمات الهالكة . وكثيراً ما أكد مولانا آزاد على هذا الجانب في خطباته ...

و لتحقيق هدف اتحاد العالم قد حرص مولانا آزاد الحكومة الهندية على إنشاء منظمة لتطوير العلاقات الثقافية بين الشعب والأقوام تحت إسم 'المجلس الهندي للعلاقات الثقافية - وقد لعب هذا المعهد (ICCR) دوراً بارزاً في إزالة سوء التفاهم السائد في الدول الأجنبية عن الهند بالخصوص في دول الشرق الأوسط .

على كل حال قد أوقف حياته الكاملة وبذل بأقصى جهوده لخدمة الشعب الهندي والدولة الهندية وعمل عملاً جاداً وجاهد و ثابر أثناء عمله الى آخر حياته حتى حان له الوقت لإنقضاء حياته ، ولفظ أنفاسه الأخيرة ولبى داعى الأجل ورحل الى جوار رحمة الله يوم ٢٢ / فبراير عام ١٩٥٨ م .

حيث أغلقت الصفحة الأخيرة النيرة لكتاب حياته ... (١)

هُوسِي

(١) انظر : ابوالكلام آزاد : صافية مزمل ص ٣٠

الفصل الرابع

مولانا آزاد في مجال الصحافة

وقد دخل أبوالكلام آزاد في مجال الصحافة وهو يناهز ١١ سنة فقط .
فقد أصدر أول مجلته الشهرية بإسم 'نيرنج عالم' (عجائب العالم) عام
١٨٩٩م . وكانت هي مجلة شعرية تماماً تنعكس ذوقه الأدبي والشعري -
ينشر فيه خواطر باله و خوالج نفسه في صفحات هذه المجلة التي قد
أعجبت كثيراً من الشعراء و الأدباء في عصره ... ولكنها توقفت هذه المجلة
بعد ثلاثة أو أربعة أشهر. (بضعة أشهر)

ثم صدرت صحيفة أسبوعية ' المصباح ' في أواخر عام ١٩٠٠م
تحت إدارة آزاد ولم تصدر هذه الصحيفة أيضاً إلا لثلاثة أشهر. نشرت فيها
مقالات آزاد حول موضوعات عديدة مثل الغزالي، ونيوتن، وقانون جاذبية
الأرض، ومهرجان العيد. (١)

وكانت إدارية هذه الصحيفة حول "عيد الفطر" لأنها أصدرت يوم
عيد الفطر، وكانت هي إدارية رائعة جذبت قلوب الناس . وقد نسخ كثير من
الجرائد تلك الإدارية. (٢)

ثم كتب مقالات عديدة في "مخزن لاهور"، "أحسن
الأخبار، كلكوتة"، "مرقع عالم، هردوئي" لكن الحياة الصحافية الحقيقية
لمولانا آزاد بدأت عندما أصدر صحيفة "لسان الصدق" بصورة نظامية. (٣)

(١) ثقافة الهند: ١٩٨٨م ص ٩

(٢) أبوالكلام آزاد: عرش ملياني: ص ١٢

(٣) ثقافة الهند: ١٩٨٨ ص

وما زالت تصدر من ٢٠ / نوفمبر ١٩٠٣ م الى ٥ / مايو ١٩٠٥ م (١).
وقد نالت هذه الصحيفة قبولاً حسناً. أثنى عليها بعض الجرائد
المعروفة آنذاك ثناءً جميلاً. وقد حدد آزاد أهداف هذه الصحيفة - وهي
الإصلاح الإجتماعى للمجموعة المسلمة، وتشجيع ترويج اللغة العربية فى
بنغال و غرس الذوق الأدبى لدى العقلاء والإستعراض النقدى للكتب
الأدبية. (٢).

فقد تغلغلت شهرة هذه الصحيفة الأنيقة ، كان معيار محتواها بلغ الى
أوجها وكان اسلوبها رائعاً رصينا جذاباً يُرى أن صاحبها شيخ كبير (٣).
لكن لما حضر ابوالكلام آزاد فى جلسة عقدت فى لاهور عام
١٩٠٤ م. لقى أول مرة مولانا حالى . ولما أخبره وحيد الدين سليم من بانى
بت أن هذا الشاب اليافع هو الذى رئيس التحرير لصحيفة ” لسان الصدق “
فقد أعجباً به إعجاباً شديداً. كأنه لم يتيقن أن هذا الشاب رئيس التحرير
لصحيفة مثل ” لسان الصدق “ وتملكته الحيرة عندما تكشف له الحقيقة
وعمره حينذاك لم يتجاوز عن خمسة عشر أو ستة عشر سنة فقط. (٤).
ثم ارتبط بكثير من الجرائد والصحف مثل ” خدنج نظر “ و ” الندوة “
(١٩٠٥ - ١٩٠٦). وهى صحيفة ناطقة بلسان دارالعلوم ندوة العلماء ، تهتم
بالموضوعات الإسلامية الدينية والحضارية - وكذا ” الوكيل “ امرتسر (١٩٠٦)

(١) ابوالكلام آزاد: رشيد الدين خان. ص ٣٢٤

(٢) ابوالكلام آزاد: صافية مزمل ص ١٩ (انكليزى)

(٣) انظر: آزاد كى كهانى - ص ٣٠٨ - ٣١٠

أيضاً. ابو الكلام آزاد. عرش مليانى ص ٢٢

(٤) ابوالكلام آزاد: رشيد الدين خان ص ٣٢٤

و"دارالسلطنة" ١٩٠٧م. (١)

ثم تعطلت صحافته لفترة تعتبر فترالركود. كأنه يستعد ويجهز نفسه في هذه الفترة للصحافة المقبلة بشأن جديد. فقد زار في هذه الفترة إلى الدول العربية مثل العراق ومصر وسوريا وتركيا وفرنسا أيضا. فقد توسع أفقه الفكري وتكوّن مزاجه السياسي. ولقى كثيرا من الثوار الإيرانيين والعرب من أتباع مصطفى كمال. ففي هذه اللقاءات اقتنع آزاد بأن المسلمين في الهند ينبغي لهم ألا يبقوا بمعزل عن التيار الرئيسي للسياسية الهندية.

وجدير بالذكر أن أفكاره السياسية رهنية لحد كبير لتأثره بالنشاط السياسي لجمال الدين الأفغاني (١٨٣٩-١٨٩٧م) والشيخ محمد عبده (١٨٤٩-١٩٠٥م). وكان الأفغاني ثوريا، لديه قناعة بأن الإسلام يمثل قوة كبيرة في التاريخ وهو دين عالمي يتميز بصلاحية لتكييف نفسه حسب متطلبات الزمن. وكان مؤيدا للوحدة الإسلامية ومصلحا متحررا تصدى للتعليم الغربي. وكان محمد عبده تلميذه البار مصلحا كبيرا في القرن العشرين.. سلك مسلكه تماما. قام بالتصدي للسيطرة الغربية. وكان حريصا على احياء الإسلام بشكله الأصلي الحقيقي. وقد لعبت "العروة الوثقى" دورا بناءا لإصلاح المجتمع البشري.. وكان رشيد أحد أتباع محمد عبده نشر أفكاره وأكد على أهمية دور الإسلام كوسيلة لإصلاح المجتمع الإسلامي. (٢)

(١) ابوالكلام آزاد: رشيد الدين خان ص ٣٢٤

فقد تزود آزاد نفسه بأفكار هؤلاء الزعماء المصلحين وتوسعت دائرة أفقه الفكري، قد تأثر بهؤلاء الثلاث أكثر بكثير حتى نرى بصمات واضحة لهؤلاء المفكرين الثلاثة على كتاباته.

فقد شمر ابوالكلام آزاد الجد لإيقاظ المسلمين من الركود والجمود والخمول وشد عضده لإنقاذهم من الذل والهوان والرق والعار التي قد تسلطت عليهم منذ ما دخلت السيطرة الانجليزية في الهند. وقام بمهمة عظيمة ضد سياسة الانجليز العاشمة. فقد نفخ صور الحرية والاستقلال في جميع أبناء الهند بالعموم كما أنه بث الروح الدينية والعزة الاسلامية في نفوس المسلمين بالخصوص عن طريق مجلته الاسبوعية الهلال، ثم البلاغ. فقد صدر العدد الأول من مجلة "الهلال" ١٢ / يونيو عام ١٩١٢م بعدد ممتاز كانت أنيقة الطباعة، قوية الدعوة، حصل له القبول العظيم لأساليب الكلام والبراعة في الانشاء والترسل. فقد هزت هذه المجلة المسلمين بالخصوص وأبناء الهند على العموم بزوا شديدا وایقظتهم من نومهم العميق. (١)

فقد دعا المسلمين إلى الاسلام والتمسك بالكتاب والسنة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ويصرح بهذا حيث يقول:

”لاهدف للهلال إلا أن يدعو المسلمين إلى التمسك بكتاب الله وسنة رسوله في كل الأعمال والمعتقدات، وهو يريد أن يرى المسلمين مؤمنين بالمعنى الكامل للايمان في كل المسائل التعليمية والمدنية والسياسية، ليس له نداء إلا: تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم“ (آل عمران الآية).

لأصل

كان مولانا آزاد يضطرب اضطراباً شديداً لأوضاع المسلمين في الهند، يرى فيهم التشتت الديني، والتفكك الاجتماعي والانحطاط السياسي. فقد هاجم هجوماً عنيفاً في مقالات "الهلال" على التقاليد القديمة والعادات الموروثة والجهالة والامية. ودعا إلى جمع كلمتهم وتوحيد صفوفهم. فقد أثار بهذه الصحيفة، الغيرة الدينية لدى المسلمين بدعوتهم لإتباعهم تعاليم الإسلام الذي يفرض عليهم التصدي الدائب والثورة المستمرة ضد الاضطهاد والعمل بالتعليم القرآني و الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ووجه نداءً مثيراً للمسلمين فيقول: "يا ليتني كنت أحمل بوق الملاك الكبير فصعدت به إلى أعلى القمم الجبلية ونفخت فيه نفخاً شديداً يحدث جلبة مثل رعد ويهز ويوقظ من لا يزالون في النعاس المخزي، ومن تلك القمم لصرخت".

"تيقظوا من نومكم الطويل! انهضوا أو ان إلهكم يريد منكم النهوض، مالكم أنكم ترون إلى هذا العالم البائس ولا تصفون إلى من يمنحكم الحياة لا الموت، ويعطيكم النصر لا الخيبة ويغمركم بالشرف لا العار" (١)

كان آزاد كارهاً شديداً الكره سياسة الانقسام والتفريق كما إنافر على الاطلاق من السياسة المعاصرة للمسلمين وهي السياسة الانعزالية.

(١) الهلال، ١٣٠/ يوليو ١٩١٢م (ماخوذ من ثقافة الهند، ١٩٨٨م ص ١٠٠)

فكان يرى أن الاسلام والسياسة أمران لا يمكن يفصل بينهما. ووصف
آزاد (السير سيد أحمد خان وسياسة بأنها مهجورة ومبتذلة وعديمة الصلة
مع وضع المسلمين. وقام بتفسير الاستقلال السياسى على ضوء الاسلام
فكتب فى الهلال:

”بالنسبة للهنادكة فان النضال من أجل الاستقلال هو عمل وطنى
ولكنه بالنسبة للمسلمين واجب دينى بدون شك“ (١)

هذه هى مجلة ”الهلال“ مليئة بالشواهد القرآنية والأحاديث النبوية
حافلة بألوان شتى من العلم والأدب والفلسفة والتاريخ، مميزة بالروح
الدينية الخالصة. وحافزة إلى النشاطات الدينية والثقافية والاجتماعية
والسياسية، وبجانب هذا كانت هى نموذج للقوة البيانية والأساليب النارية
الملتبهة.

فبهذا الاسلوب النارى الملتهب الذى يستمد قوته من الدين كان
يتحدث آزاد، ويستثير بمم المسلمين حتى يتقدموا الصفوف فى الكفاح
ضد الاستعمار الذين سجل لهم التاريخ صفحات المجد والفخار. (٢)

قد أحسست الحكومة الخطر العظيم من دعوة آزاد ولهجته واقبال
الناس (المسلمين) إليها اقبالا شديدا فبدأ التضييق عليها حتى فرضت

(١) المصدر السابق.

(٢) ابوالكلام آزاد: عبدالمنعم النمر. ص. ٨٦.

الغرامة عليها بألفين روبية فى ستارة القانون ولم تقف هذه الدعوة
وللهجتها، ثم فرضت عليه غرامة باهظة بعشرة آلاف روبية وهى أيضا
أديت.. وزاد ضيق الحكومة وحاولت أن تقضى على هذه الدعوة بشتى
دسائسها حتى قد اغلقت الهلال نهائيا فى يونيو عام ١٩١٥ م. (١)

لكن لم تقف طبيعة آزاد الحرة عن رفع الصوت ضد الظلم
والاضطهاد. فبعد فترة بسيطة أصدر مجلة أخرى باسم "البلاغ" ١٢/
نوفمبر عام ١٩١٥ م.

وكانت هذه المجلة مثل مجلة "الهلال" هى هى. لم تكن مختلفة
عنها إلا أنها تغيرت بإسمها. ولم تدم هذه المجلة إلا بضعة اشهر. أغلقت
هذه المجلة أيضا ٣١/ مارس ١٩١٦ م. (٢)

وقد أصدر "الهلال" مرة أخرى بعد احدى عشرة (١١) سنة، يونيو
عام ١٩٢٧ م. وانتهى نهائيا فى ديسمبر عام ١٩٢٧ م ولكن لم تكن هذه
المجلة على مستوى المجلة السابقة من لهجتها البلاغية والاسلوب النارى
الملتهب لأجل النشاطات والمغامرات السياسية المكثفة فى هذا
الزمن. (٣)

(١) ابوالكلام آزاد، عرش ملسياني، ص. ٣١.

(٢) ابوالكلام آزاد، رشيد الدين خان، ص. ٣٢٤.

(٣) ابوالكلام آزاد، عرش ملسياني، ص ٣٣

وقد صدرت مجلة عربية باسم "الجامعة" تحت إشرافه من أبريل - ١٩٢٣م إلى مارس ١٩٢٤م. وكان الهدف من هذه المجلة هو أن يطلع الدول العربية والبلاد الإسلامية عن أحوال الهند وأوضاع المسلمين بها ونشاطاتهم السياسية والثقافية فيها.

ولخص عبد الرزاق مليح آبادى دعوة "الهلال" و "البلاغ" الاجتماعية والسياسية فى النقاط الآتية:

١- إن العبودية سواء كانت للأجانب أو المستبدين من الأمة نفسها لاتجتمع مع الاسلام؛ وأن السعى للحرية والاستقلال وتحمل الشدائد والمصائب واغتياب بالموت فى سبيله كل ذلك واجب على المسلمين؛ وهو تراثهم الملى الذى ورثه عن اجدادهم؛ فأما أن يعيشوا احرارا أو يموتوا كراما. وليس بين هذا وذاك من سبيل فى الاسلام لأن شريعته مادامت لاتبيح استبداد الولاة من المسلمين انفسهم؛ فكيف تبيح لهم أن يعيشوا خاضعين لظلم الأجانب واستبدادهم؟ والمسلم الذى يقنع ويرضى بهذه المعيشة لاريب فى حرمانه من روح الحياة الاسلامية.

٢- على المسلم الهندى واجبان: واجب اسلامى؛ وواجب وطنى؛ فالواجب الاسلامى يطالبهم بألا يحصر نظرهم فى حدود أرضهم؛ فإن جنسية الاسلام لاتتقيد بالوطن أو النسل؛ فعليهم أن يقوموا بكل مساعدة ممكنة لإخوانهم المسلمين فى العالم كله؛ وأما الواجب الوطنى فيطالبهم بالاتحاد مع أبناء وطنهم وبذل نفوسهم وأموالهم فى الحرية والاستقلال.

- ٣- لاتهدد الدول الغربية الاسلام أوالمسلمين فقط ولكنها تحدد الشرق بأسره فيجب على الشرق أن يتماسك ويتعاقد لصون حريته وحياته.
- ٤- اللغة العربية هي اللغة الملية للمسلمين كافة؛ وأنه من العوامل الأساسية للانحطاط الدينى للمسلمين وهجران اللغة العربية وشيوع العجمة...
فيجب عليهم إحياء اللغة العربية.(١)

(١) انظر: ابوالكلام آزاد: عبدالمنعم النمر. ص. ٩٢.

الباب الثاني

نبوغ أبي اللؤلؤ آنرا

في اللغة العربية

الفصل الأول

براعة

آزلاو في اللغة العربية

كم من كتاب تصفحت للإطلاع على إمام آزاد باللغة العربية ومعرفته بها. ولكن لم أجد أي كتاب ولارسالة ولامجلة يعالج صاحبها هذه القضية المهمة عن حياة آزاد التي كانت مليئة بالمعارك الأدبية والمغامرات السياسية وكانت حافلة بشتى العلوم والمعارف. كلما أجد هي بعض الفقرات التي تدل إلى إمامه ومعرفته باللغة العربية مثل قول غاندى:

”إنه لا يبارى فى العلوم الاسلامية‘ كما كان متبحرا فى اللغة العربية‘ ووطنيته متينة صادقة كإيمانه بالاسلام“ (١).
وكقول نياز فتح فورى:

”لواتجه إلى الشعر باللغة العربية لكان بمكانة المتنبى وبديع الزمان الهمداني“ (٢).

وكقول بعض آخر:

”إن ملكة أبى الكلام آزاد على اللغة العربية وكذا الفارسية جعلته جديراً بقدرته الكاملة على الموضوعات العلمية الراهنة‘ واعترف العلماء والكتاب والأدباء والنقاد بدقة نظره فى الالهيات والدينيات. والمنطق والفلسفة‘ والتاريخ والجغرافية وكذا الشعر والأدب“ (٣).

وقال الآخر:

”ولد ابوالكلام آزاد فى الحجاز (مكة المكرمة) وكانت أمه من أصيل العرب‘ فمن الطبيعى أن لغة التكلم فى البيت كانت هى اللغة العربية. كأن هذه اللغة كانت

(١) انوار أبى الكلام آزاد: ص. ١٩٢

(٢) فكرونظر. ١٩٨٩م (عدد خاص) ص. ٢٢

(٣) ابوالكلام آزاد‘ ذهن وكردار: عبد المغنى. ص. ١٨

وسيلة التكلم فيما بينهم“ (١)

وكقول البعض الآخر:

”وُلد مولانا آزاد في الحجاز كانت أمه عربية النسل، وأبوه هندي الأصل، وكانت العربية هي لغة أمه. وكانت تتمنى وتحاول أمه وخالته ألا تؤثر عربيته اللغات الهندية... وإن كثرة الكلمات العربية في مقالات مولانا آزاد تدل إلى مدى سعته وتعمقه في الأدب العربي..“ (٢)

هذه الأقوال ومثلها كثير تدل إلى إلمامه باللغة العربية ومعرفته. ولكن مجرد هذه الأقوال لا يكفي لإظهار جلالة مولانا آزاد وعظمة شأنه في اللغة العربية. لم أجد أحدا يبرر عما يقول.

في الحقيقة أن أبي الكلام آزاد لم يكتب ولم يصنف أي كتاب في اللغة العربية - كما وجدت أثناء دراستي «حياته العلمية والفكرية» - لكي تظهر قدرته الكاملة وملكوته الساحرة على اللغة العربية.. ولكن مع ذلك هذه هي الحقيقة أن مولانا آزاد كان عالما جليلا، أديبا ماهرا وخطيبا بارعا، وله إلمام واسع باللغة العربية وفقهها. وهناك شواهد كثيرة تدل على قدرته ومهارته ودقة نظره في اللغة العربية وآدابها. واعترف بهذا القدر العظيم كل من حضر في حفلة دارالعلوم ندوة العلماء المنعقدة/ أبريل ١٩١٢م (٣)، حيث ألقى فيها رشيد رضا مصري خطبة عظيمة باللغة العربية الفصيحة البليغة. وقد ترجمها أبو الكلام آزاد باللغة الأردية مرتجلاً بنفس الفصاحة والبلاغة.. وهذا دليل واضح على أنه كان عالما خبيراً بهذه اللغة.

وكما عرفت أنه ولد في الحجاز (مكة المكرمة) وتربى في حضن أم عربية ونشأ نشأته الأولى في الجو العربي الخالص. حتى بعد ما رجع إلى الهند قد واصل

(١) عن أبي الكلام آزاد (اردو) مالك رام: ص. ١٥٥.

(٢) فكر ونظر: عدد خاص. ١٩٨٩م. ص. ٢٤.

(٣) إيوان اردو: عدد خاص. ١٩٨٨م. ص. ١٩٣.

دراسته وأرتكز على هذه اللغة العربية ، فقد درس العلوم الإسلامية تفسيراً وحيثاً ،
فقهاً وأصولاً وكذا الأدب والشعر ، المنطق والفلسفة كلها كانت باللغة العربية الى أن
اكتمل درسه النظامي في سن الخامس عشر ، ومعروف أن معظم مواد الدرس
النظامي المتداول تكون باللغة العربية . وقد برع في هذه العلوم مع حداثة سنه وبدأ
يتطلع الى العلوم والمعارف خارجاً عن هذه المناهج المقررة . ووصل الى ذروة
الكمال في وقت قصير . حتى قال في موضع (١) :

”في السن الرابع والمشرين من عمري - أي السن الذي يبدأ فيه الإنسان
مسيرته في طريق الشباب - كنت قد قطعت شوطاً وأنظر في التجارب التي
استجمعتها بذلك الطريق . فكان أمرى كان على نقض غيرى من الناس ، حيث
انتهى لي المطاف في المرحلة التي يشد الآخرون فيها الرحال .“

فلا داعية لنا أن لا نقل إمامه باللغة العربية وسعة أفقه وعمق فكره في هذا
المجال...^{١٢} أبي

هذا وقد قضى مدة تذكر في البلاد الاسلامية مثل البغداد ، والقاهرة ودمشق
وغيرها . ولقى هناك كثيراً من العلماء والمشائخ الكبار وتبادل معهم الأفكار على
الموضوعات العلمية المختلفة - وكان من مشاهير العلماء في ذلك الوقت ' العلامة
ألوسي ، والشيوخ محمود شكرى من العراق ، الشيخ أبو حمزة كردى ، والسيد
عبد الرحمان النقيب ، والسيد عبد الله الأصفهاني وغيرهم . ولهم شأن وميض في
العلم والأدب في ذاك العصر . كان يحضر مولانا ابوالكلام آزاد في مجالسهم
العلمية ورأى فيها منظرًا معجباً لفيضان العلم والأدب والمعارف والحكم ، فقد
تكسب من هذا البحر المواجه وخاض في غماره وملاً جيوبه بالدرر الكامنة والآلى
المكنونة من العلم والأدب والثقافة العربية العريقة والتطلعات الواسعة .

(١) غيار خاطر : ابوالكلام آزاد . ص ١٠٣

والشيخ آلوسى زاده، كان حافظاً للأدب العربى وناقداً له طبقاً لقول آزاد:

(قد تجمعت فى ذهنه جميع أيام العرب وأشعارها)

فلم يبهرع آزاد فى اللغة العربية وآدابها فى مصاحبة الشيخ آلوسى فحسب، بل وصل الى ذروة مقاييس العلم والأداب والثقافة العربية وبلغ حد الكمال فيها التى أصبحت كمشعل تنير سبل حياته طوال عمره. (١)

وقد تعرف به ميسى نيون - المستشرق الشهير - فى إحدى مجالس بغداد ، ودهش وتحير حينما رأى قدرة آزاد الكاملة وملكته الساحرة على اللغة العربية. (٢)
وأيضاً كان مولانا آزاد يقرأ ويطالع الكتب العربية - زرت مكتبته الخاصة فى مبنى 'المجلس الهندى للعلاقات الثقافية' كأنها حافلة بالكتب العربية على موضوعات شتى، شعراً ونثراً.

وجدير بالذكر أن مولانا آزاد له عناية بالغة بإحياء اللغة العربية . حيث ذكر فى اهداف إنشاء مجلته الأسبوعية "الهلال".

" اللغة العربية هى اللغة الملية للمسلمين كافةً ولو أنه من العوامل الأساسية للإنحطاط الدينى للمسلمين هجران اللغة العربية ، وشيوع العجمة .. فيجب عليهم إحياء اللغة العربية". (٣)

ولتحقيق هذا الهدف المنشود أنشأت مدرسة اسلامية فى مدينة كالكوتة وألقى ابوالكلام آزاد فيها خطبة افتتاحية يوم ١٣ / ديسمبر عام ١٩٢٠م وقد حضر فى تلك الحفلة مهاتما غاندى - وقد أشار فيها ابوالكلام آزاد إلى المدارس الاسلامية واللغة العربية. (٤)

اصلا
٣

(١) أنظر: فكونظر . عدد خاص . ١٩٩٠ ص ٤٢

(٢) نفس المصدر

(٣) ثقافة الهند : عدد خاص ص ١٩٥م

(٤) ابوالكلام آزاد: عرش مليانى ص ١٤٢ - ٤٣

والأمر الثانى الذى يلفت انتباهنا هو أن أبا الكلام آزاد كان مواظباً لقراءة الجرائد والمجلات العربية التى ترد إليه من الدول العربية - وكان يحب بالخصوص الصحافة المصرية؛ ويطلع على الوقائع والأوضاع والحركات والشخصيات فى البلاد الإسلامية من خلال هذه الصحف والجرائد العربية- (١)

وكان مكتب "أحسن الأخبار" مليئة بهذه الصحف والجرائد العربية؛ قد تأثر بهذه الجرائد أكثر بكثير حتى أنه سمي كثيراً من جرائده ومجلاته باسم تلك الصحف والجرائد فى البلاد العربية بالخصوص فى مصر. فمثلاً "الهلال" 'البلاغ' الجامعة وغيرها. (٢)

وقد تأثر أبو الكلام آزاد بكتابات جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده حتى نرى شبه تماثل بين مقالاته فى الهلال وبين مقالات "العروة الوثقى" (الجريدة العربية) (٣) بعض رسائل مولانا آزاد للسيد رشيد رضا :

بينما كنت أبحث عن إمام أبى الكلام آزاد باللغة العربية وبراعته فيها؛ وقفت على باحث مصرى تكلم عن بعض الرسائل التى كتبها أبو الكلام آزاد باللغة العربية إلى السيد رشيد رضا . لما كان مولانا آزاد متأثراً شديداً بالتأثر بمدرسة الأفغانى ومن بعده محمد عبده؛ وكان السيد رشيد رضا - تلميذ محمد عبده - سلك على نهجه وكان حامل لواء مدرسة الإمام محمد عبده ووارث علمه وناشره؛ فمن الطبيعى أن عقدت صلة بينه وبين السيد رشيد رضا. وتوطدت هذه العلاقة الوثيقة فيما بينهما - ومن اللازم أنهما كانا يتبادلان الآراء والأفكار عن طريق الرسائل إذ كانت الأوضاع السياسية والدينية والاجتماعية فى الهند شبه الأوضاع فى البلاد الإسلامية التى كان يواجهها السيد رشيد رضا وقام بإصلاحها .. فقد ذكر عبد المنعم النمر عن هذه

(١) انظر أبو الكلام آزاد : دوغلاس (انكليزى) ص ٢١ ، ٢٢

(٢) أبو الكلام آزاد : ايك بهم كير شخصيت ؛ رشيد الدين خان ص ٢٦٤

(٣) أبو الكلام آزاد : عرش ملسياني ، ص ٣٢

العلاقة الوثيقة بين آزاد والسيد رشيد رضا وأيضاً عن الرسائل التي وقف عليها -
فأنا أذكر هنا نص مقاله :

”لقد ظل آزاد بعد رجوعه للهند على صلته بالسيد رضا ، حيث كان يتبادل الرسائل معه في المسائل المهمة التي تشغل المسلمين في ذلك الوقت ، مما يدل على الصلة الوثيقة بينهما في الاهتمام بشئون المسلمين ، وإن اختلفا أحياناً في وجهة النظر نحو بعض القضايا...“ (١)

ثم يقول : ” وقد حصلت على بعض الرسائل التي كان يكتبها آزاد للسيد رشيد رضا باللغة العربية وهي رسائل تدور حول مسألة الخلافة والعناية العامة بأحوال المسلمين ، والعمل على تجميع كلمتهم ، وقد حاولت الحصول على رسائل السيد رشيد رضا إليه ، ولكنى لم أوفق ، ومع ذلك يمكننا أن نستشف من ردود آزاد ، ما كانت تدور حوله ردود السيد رشيد رضا ..

ومن خلال الرسائل الثلاث التي حصلت عليها ، وتاريخ كل منها ، يظهر لنا أن آزاد وثق صلته بالسيد رشيد ، حين رحلته إلى مصر ، مما جعله يديم هذه الصلة ويوثقها بعد رجوعه إلى الهند بوساطة هذه الرسائل... كما يظهر لنا أيضاً أن هذه الصلة ظلت طويلاً -

فأولى هذه الرسائل كان تاريخها ، المحرم / ١٣٣١ هـ - ديسمبر ١٩١٢ م صادرة من كالكوته ، ولاحظت أن السيد رشيد علق عليها بالقلم الرصاص في أعلاها بقوله : (أجبت عليه في الحال ١٩ / ١ / ١٣٣١ هـ) ، مما يدل على احتفاله برسائل آزاد وعنايته بها وبالرسائل التي تثيرها .

وثاني هذه الرسائل كان تاريخها ٢٨ / مايو ١٩١٣ م / جمادى الآخرة سنة ١٣٣١ هـ صادرة من كالكوته أيضاً . ومكتوبة على ورق لمجلة الهلال ، وكانت تدور كسابقتها حول مسألة الخلافة . ويخبر فيها أنه عزم على إصدار صحيفة عربية بإسم

(١) أبو الكلام آزاد : عبد المنعم النمر . ص ١٠٦

”الاتحاد الاسلامى“ لتوطيد الأخوة بين مسلمى العالم ، ويطلب عونه ومساعدته فى مادة الصحيفة . ويقول فى آخر الرسالة ”لأزال أراكم مصلحا مخلصا لوجه الله ، داعيا للقرآن الكريم والسنة النبوية ، وقامعا البدع والخرافات .“

أما الرسالة الثالثة فكان تاريخها ٧/ ذى الحجة ١٣٤٢هـ / ١٩٢٤م ويبدو أن الصلة استمرت بينهما حتى هذه الفترة وغالبا بعدها ، برغم الظروف التى مرت بآزاد من اعتقال و سجن ، ويشير فى هذه الرسالة إلى أن كتب السيد رشيد تصله ، ويأسف لعدم وصول ردوده بانتظام ، وهو يتحدث فيها عن الخلافة وماطراً عليها فى هذه الفترة . ثم يقول :

سأذكر نص هذه الرسائل فيما بعد مكتفيا هنا بالإشارة إليها لنعلم مدى الارتباط الفكرى الوثيق بين آزاد و السيد رشيد..ومما لاشك فيه أن الرسائل كانت قائمة بينهما باستمرار، وإلى زمن طويل ، لا يمكن تحديده ، وإن كنت أظن أنها ظلت حتى انتقل السيد رشيد إلى جوار ربه... (١)

وذكر صاحب الكتاب أنه سيذكر نص هذه الرسائل المذكورة أعلاها ولكنه لم يذكرها فى الجزء الذى بين أيدينا . لعله ذكر فى الجزء الثانى من الكتاب ولكنه لم يوفر لدينا - يا حبذا لو وقفنا على هذه الرسائل والرسائل كلها التى أرسلت الى السيد رشيد رضا ، لكان هى مصدراً هاماً لفهم براعة آزاد فى اللغة العربية واسلوبها فيها . هذه هى شواهد جمعاء تشير الى مدى إلمامه باللغة العربية ومعرفته بآدابها - لا ينبغى لنا العدول عنها والإغماض عن هذه الحاقيقة البارقة .

ولكن طرأ هنا سؤال ، أن ابا الكلام آزاد مع كونه بارعاً فى اللغة العربية وآدابها لماذا لم يكتب ولم يصنف أى كتاب فى اللغة العربية لإفادة الناس ؟ كثيراً ما تلتفت أنظارنا الى مجلته العربية التى صدرت من كالكوته باسم ”الجامعة“ من ٢٤ / أبريل

(١) انظر ابوالكلام آزاد : د / عبد المنعم النمر ص ١٠٨ / ١٠٧

١٩٢٣م الى مارس ١٩٢٤م (١). صدرت هذه المجلة تحت إشراف أبي الكلام آزاد وفى إدارة مولانا مليح آبادى . ولم نجد فيها أى مقالة لأبى الكلام آزاد (٢). وكانت هى أول مجلة صدرت باللغة العربية... وكذلك بعد ما نالت الهند استقلالاً أنشئ "المجلس الهندى للعلاقات الثقافية" بأمر أبى الكلام آزاد وصدرت ثقافة الهند (رسالة عربية) تحت إدارة مولانا مليح آبادى - ولم توجد فيها أى مقالة لأبى الكلام آزاد (٣) هذا سؤال هام بالنسبة لثقافة آزاد العربية . ولكن لنا أن نبرر عن هذا الإشكال ونجيب بوجوه متعددة .

أولاً : لما خطا ابوالكلام آزاد خطوته الأولى تجاه ميدان الصحافة وجد أن الأوضاع السياسية فى الهند فى حالة الاحتضار . وقد سيطرت الاستعمار البريطانى على الهند وقد دفع بلاد الهند وأبنائها الى شفا حفرة من الهلاك والدمار وكان المسلمون بالخصوص وقعوا فى ورطة الانحطاط وتدهورت حالتهم دينياً وسياسياً واجتماعياً كأنها تكاد تمحو شخصياتهم ومشاعرهم ، فاضطرب ابوالكلام آزاد بهذه الأوضاع وسعى سعياً لإنقاذ الوطن من مخالب الحكومة الأجنبية . فقد شمر الجدل للمكافحة ضد الاستعمار البريطانى وكشف عن ساقية لإيقاظ همم المواطنين للاستقلال والحرية ، كما أنه قام بإصلاح أوضاع المسلمين ودعاهم الى التمسك بالكتاب والسنة والوحدة والوطنية... فكان من الطبيعى أن يدعو الناس الى دعوته بلسانهم ولغتهم وبأسلوب بليغ يفهمه الناس ويلمس قلوبهم . ومعلوم أن لغة عامة الناس فى الهند ليست عربية... وكان أول مخاطبيه هو عامة الناس فقد دعاهم بلسانهم . أيضاً إن الحركة الاصلاحية بدأت تتطور وتشتد شيئاً فشيئاً - فمن الممكن أنه لم يجد فرصة ليكتب شيئاً فى اللغة العربية.

لأن

(١) ابوالكلام آزاد . ايك همه گیر شخصیت : رشيد الدين خان . ص ٣٢٩٥

(٢) ابوالكلام آزاد . شخصیت ، سیاست پیغام : رشيد الدين خان ص ٣٤٢٤

(٣) نفس المصدر

ثانياً: لما أصدرت ” الجامعة “ (مجلة عربية) من كالكوته تحت إدارة مولانا مليح آبادى ، وكان المفروض أن يكتب مولانا آزاد فيها مقالات حول الأوضاع السياسية فى الهند - ولكن لن نجد أى مقال منه فيها .. لأن مغامراته السياسية بلغت أوجها حينئذ . وكانت هناك كثير من العوائق والعقبات تسد طريقه تجاه المكافحة للحرية والاستقلال والحركة الإصلاحية . حتى السجن والاعتقال .. فاعتقد أنه لم تسنح له فرصة يكتب فيها مقالاً موجزاً باللغة العربية فضلاً عن تأليف الكتاب وتصنيفه . ولكن مع ذلك قد سلخ بعض الوقت من نشاطاته المكثفة ويكتب ما بدا له ضرورى لازماً أن يكتب .

ثالثاً : لما أصدرت ”ثقافة الهند “ قد استقلت الهند وقتئذ من السيطرة البريطانية كان ابوالكلام آزاد مشتغلاً بوضع القانون الهندى وتوطيد العلاقات بين البلدان الأخرى . وكانت هناك مسئوليات عظيمة على كاهله فكان عليه أن يبرأها بأحسن وجه وإكماله . فلا يمكن له أن يجد فرصة لكتابة المقالات أو الكتب باللغة العربية .

هذا، وكما اعتقد أنه لم يجد فرصة تذكر لكتابة أى شىء باللغة العربية. ولو وجد فرصة وطرق هذا الباب لدخل‘ وما يخرج منه إلا ومعه مؤلفات ومصنفات لأنه فى الحقيقة بحر زخار فى العلوم والمعارف .

على كل حال ،إنه لم يكتب أى كتاب باللغة العربية لكن كتاباته ومقالاته باللغة الاردية معبأة بالكلمات العربية وتراكيبها وأساليبها ، مدللة بالشواهد القرآنية والآثار النبوية ،مزينة بالأشعار العربية والأمثال والحكم .

فسنعرض نماذج أسلوب آزاد فى كتاباته ومقالاته وخطباته فى الفصل الآتى وننظر من خلالها مدى صحة قول أنه كان بارعاً ، ماهراً فى اللغة العربية وآدابها ، عارفاً بأسلوبها وتراكيبها وقادراً على استعمالها فى موضع يناسبها ...

الفصل الثاني

نماذج

براحة أبي الكلام آزاله

في

اللغة العربية

وإذا نظرنا فى كتابات "آزاد" ومقالاته وخطباته ،وجدنا أنها مليئة بالكلمات العربية وتراكيبها وأساليبها ، محلاة بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، مزينة بالأشعار العربية التى تدل إلى دقة نظره فى الكتاب والسنة كما أنها تدل إلى ذوقه اللطيف فى أخذ الأشعار العربية واستعمالها مرتجلاً فى موضع يناسبها .فلننظر هنا كيف يهذب مقالاته بنقل الآيات القرآنية ويروض كتاباته وخطباته بالأشعار العربية .
شواهد الآيات القرآنية وشأن الخطابة العربية :

لما كان ابوالكلام آزاد داعياً مخلصاً لوجه الله ومصلحاً كبيراً فقد دعا المسلمين بالخصوص الى التمسك بالكتاب والسنة واتخاذ الإسلام نصباً لأعينهم فى جميع مجالات الحياة .فمن الطبيعى أن كانت دعوتهم مستدلة بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية .وكما أنه كان دارساً للغة العربية وآدابها من بداية الأمر وقد درك فى جميع العلوم الإسلامية وبلغ كنهها فقد استخدم هذه الآيات القرآنية كمهماز يحفز بها هم المسلمين ويوقظهم بها من الركود كما أنها تقوى وتشدد قوته البيانية والخطابية .. فقد إفتتح العدد الأول من مجلته "الهلال" بالآيات القرآنية(١)فقال:

"رب أدخلنى مدخل صدق ، وأخرجنى مخرج صدق ، واجعل لى من لدنك سلطاناً نصيراً".(١)(٢)

ثم ذكر أنى قد رأيت رؤياً بعين اليقظة النابهة عام ١٩٠٦م .وبحثت عن تعبيرها العلمى .وكنيت فى غاية الاشتياق لتحقيق هذه البغية ...إلى أن جاء الوقت أقول فيه "هذا تأويل رؤياى قد جعلها ربى حقاً".(٣)

من متن

(١) الإسراء : الآية ٨٠

(٢) ثقافة الهند : سبتمبر عام ٢١٩٥٨م ص ٣١

(٣) سورة يوسف : الآية ١٠٠

وكان يخاطب ابوالكلام آ زاد العقل بجانب العاطفة ويلمس النفس المسلمة بالأمثال المحسوسة فيهبها وينبها الى حقائق ملموسة .. ويدعوهم الى الشجاعة والجرأة وركب الخطوب والمطايا دون خوف وخشية لأن الحياة مقرونة بالشدائد ، لا فكاك لها قبل الموت . ويذكرهم بأمجادهم وأسلافهم ليعيدوا سيرتهم . فقد دعا إلى تحقيق إمارة أمر الله على أرضها والحكم حكمه عليها . فيقول مفتتحاً إحدى كلماته في الهلال بآيات فاصلة من القرآن الكريم :

”يا صاحبي السجن أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار‘ ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتوها أنتم وآبائكم ما أنزل الله بها من سلطان ان الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون “ . (١)

هكذا كان أسلوب آ زاد في الهلال مستهلاً بالآيات القرآنية لشحذ همم المسلمين وإيقاظهم من الركود والتعطل ...

قد كتب ابواكلام آ زاد مقالة طويلة في العدد الأول من مجلة ”البلاغ“ (٢) حول موضوع ”المسلمون بين الإجهاد والتقليد“ . وكانت افتتاحية هذا العدد باللغة العربية - وهذه الافتتاحية تمثل شأن الخطابة العربية - فقد هاجم فيها ^{على} التقاليد القديمة والعادات الموروثة . ودعاهم الى التحرر في العقل والأفكار وأخذ الأشياء بعين الاعتبار . ودعاهم الى الحرية من رق العبودية والذل والعار . وهذه المقالة الطويلة مليئة بالآيات القرآنية التي تقوى قوته البيانية وتؤثر أثرها البالغ على مسامع القراء والسامعين . فيقول :

”الحمد لله الذي رضى لنا الاسلام ديناً ونصب لنا الدلالة على صحبه برهاناً مبيناً ، وأمرنا أن نستهديه صراطه المستقيم ، صراط الذين أنعم الله عليهم من

(١) سورة يوسف : الآية ٣٩-٤٠

(٢) البلاغ : يوم الجمعة ٤ / المحرم الحرام عام ١٣٣٤ هـ / ١٣ / نوفمبر ١٩١٥ م

النبیین والصدیقین والشهداء الصالحین .(١) غیر المغضوب علیهم (اليهود) الذین لعنهم الله بكفرهم“ .ضربت علیهم الذلة والمسكنة وبأثوا بغضب من الله.(٢) ولا الضالین (المنحرفین عن التوحید) ”الذین ضل سعيهم فی الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا“ .(٣) وبدا لهم سيئات ما عملوا وحق بهم ما كانوا به يستهزؤن‘ وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين . ذلكم بأنكم أخذتم آيات الله هزوا، وعزتم الحياة الدنيا ،فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعقبون‘ (٤).فسبحان الله الذى جعلنا أمة التوحید ،وجعل ديننا دين التوحید ،وصراطنا صراط التوحید ، وسياستنا سياسة التوحید ، وأعز من استقاموا منا على التوحید، وأذل من انحرف عن محجة التوحید، ليعيدنا كما بدأنا الى التوحید‘ إنه هو يبدى ويعيد، وهو الغفور الودود، ذوالعرش المجيد فعال لما يريد‘ (٥)

والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد خاتم أنبيائه ورسله ‘ وصفوته وخلقه ‘ وحجته على عباده ‘ وأمينه على وحيه الذى بعثه بتوحيد الألوهية ‘ ليحرر الخلق من رق العبودية‘ للعوالم السماوية والارضية ‘ وبتوحيد الربوبية ليعتقهم من رق التقاليد الدينية التى ألحقها رؤساء الأديان بالشرائع الالهية ‘ وبتوحيد السياسة ‘ ليكون الشعوب والقبائل أمة واحدة تضمها شريعة عادلة مقومة واحدة ‘ وتتعارف بلغة واحدة ‘ ليطلقهم من قيود الحكومة الشخصية الجائرة ويفكهم من أغلاق العصبية الجنسية والوطنية الخاسرة - فاهتدى بكتابه العقلاء المستقلون ‘ وضل به السفهاء المقلدون ‘ وعز يأتباعه المؤمنون الصالحون ‘ وذل بإعراضهم

(١) القرآن الكريم : رقم السورة (٤) رقم الآية ٦٩

(٢) رقم السورة (٢) رقم الآية ٦١

(٣) رقم السورة ١٨ رقم الآية ١٠٤

(٤) رقم السوره ٤٥ رقم الآية ٣٤

(٥) سورة البروج : رقم الآية ١٣-٣١٦

المعرضون الخاسرون ، 'إنه لقرآن كريم فى كتاب مكنون' لايمسه إلا المطهرون' (١)
تنزيل العزيز الرحيم ، لتتذرع قوماً ما أنذر آباؤهم فهم غافلون' (٢) إن (لبي) ذلك لذكرى
لقوم يؤمنون' (٣) 'لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد' (٤)
قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء - والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى
اولئك ينادون من مكان بعيد' (٥)

سبحان الله ! هذا هو أسلوب أبى الكلايم آزاد فى الكتابة والخطابة ، ما
أحسن هذه الافتتاحية مفتحة بالحمد والثناء ، والصلاة والتسليم ، محلاة بالآيات القرآنية
نية - كل آية وضعت فى موضع مناسب ، تظهر هذه الافتتاحية شأن الخطابة العربية
العريقة ، تذكرنا قس بن ساعدة الإيادى ، جمل قصيرة ومعان كثيرة ، فيها السلاسة
والسذاجة ، فيها الترقيم والاسترسال ، وجمل مسجعة ومقفاة يترنح منها غناء باسم
يلمس القلوب ويحرك العاطفة والوجدان - وبجانب هذا أنها مليئة بالأغراض
الأساسية والأهداف الرئيسية لدعوته ، فيها التوحيد والرسالة ، فيها الدين والسياسة
فيها الدعوة إلى التحرر من رق العبودية وربقة التقاليد ، فيها تقديس لكتاب الله
عز وجل ، اهتدى به العقلاء المستقلون وضل به السفهاء المقلدون ، وفيها دعوة لإحياء
سنة النبى الكريم التى لا يعرضهما الا اللئيم...

وبعد هذا الحمد والثناء والصلاة والسلام دخل فى صلب الموضوع ، فقد
أشار إلى الاوهام والخرافات التى سادت الى العقول البشرية ، حيث كثربين الناس
الدجالون المحتالون والغازون الجائرون ، السحرة والمشعوذون ملكوانواصى الناس
بإفكهم وكذبهم ، وكان الناس فى أمرهم كالأنعام بل هم أضل سبيلاً ، عقول فاسدة

(١) رقم السورة : ٥٦ ، رقم الآية : ٧٧

(٢) رقم السورة : ٣٦ ، رقم الآية : ٥

(٣) رقم السورة : ٢٩ ، رقم الآية : ٥١

(٤) رقم السورة : ٤١ ، رقم الآية : ٤٢

(٥) رقم السورة : ٤١ ، رقم الآية : ٤٣

وآراء كاسدة ، وأفهام ساذجة وبصائر قاصرة وجهل وأوهام وخرافات وخزعبلات ،
تقيمهم وتقعدهم ، تفرحهم وتحزنهم ، تخيفهم وتزعجهم فإذا برق بارق من السماء
ارتجفوا واضطربوا ، وإذا نزلت صاعقة من السحاب ماجوا وارتعدوا ، وإذا أصابهم
مرض حلقوا لدفن الأوراق واستنجدوا براق .. مالهم به من علم الاتباع الظن ، (١) ”
بل هم فى شك يلعبون “ (٢) ” وماظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون “ (٣)
علتان لضلال البشر :

قد ذكر ابوالكلام آزاد أن لضلال البشر علتان . إحداهما ضعف قوى الخلق .
وثانيهما الانحراف عن سنة الفطرة ، فكان من الضعف أن يعتقد الناس فى كل مظهر
من مظاهر الخليقة لا يعرفون علته ، إنه هو القوة الغيبية التى قامت بها جميع
المظاهر ، وهو القوة الإلهية ، فيعبدون ذلك المظهر ، وكان من الانحراف عن قوانين
الفطرة ماكان من الاوضاع والبدع والخرافات والتقاليد والرسوم حتى جاء القرآن
ينادى إليهم وهم غافلون ” فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التى فطر الناس عليها
، لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون “ (٤)

فعلم الناس أن الدين الحق إقامة الفطرة لامقاومتها ، والاستفادة بنورالعقل
لاطفاء ه ، وأن العمدة فى معرفة الأحكام والحلال والحرام ، واجتناب المضار
واجتلاب النافع ، ودرء المفسد وطلب المصالح ، فبهذا كان الاسلام هو الدين
الأخير الذى أخرج البشر من حجزالقصور وعبوديته ، إلى فضاء الرشده وحرية ،
وكان ناسخاً لما قبله من الأديان ، ولا يمكن أن ينسخ أو ينقضى الزمان ، فتبارك الله
الذى أنزل الفرقان وعلمه البيان ، ليكون للعالمين نذيراً . (٥)

(٤) رقم السورة : ٣٠ ، رقم الآية : ٣٠

(١) رقم السورة : ٤ ، رقم الآية : ١٥٧

(٥) رقم السورة : ٢٥ ، رقم الآية : ١

(٢) رقم السورة : ٤٤ ، رقم الآية : ٩

(٣) رقم السورة : ١٦ ، رقم الآية : ٣٣

جاء الاسلام والعالم كله فى تأخر من جميع الوجوه ' من جهة الدين ' من جهة العلم ' من جهة المدنية و من جهة السياسة' حتى جدد الله للعالم كله ديناً قيماً ' وعلما محكما ومدنية سعيدة وسياسة حرة ' نشر ذلك كله فى مشارق الأرض ومغاربها ' بقوة الحق وسرعة البرق' فأحيا به الأرض بعد موتها ' وارتفعت كلمة الحق غاية الارتفاع والاعتلاء بحيث صارت " كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء". (١)

دعوته إلى التوحيد وعدم التفرق :

دعا أبوالكلام آزاد فى هذا المقال المعجز الى التوحيد وعدم التفرق فقال:

" الاسلام دين التوحيد ' وما أمر المسلمين إلا ليعبدوا إلهاً واحداً ويتبعوا

نبياً واحداً ' ويقيموا لهم إماماً واحداً ويكونوا أمة واحدة لا يفرقهم نسب ولا لغة ولاجنس 'فقد نهوا عن التفرق كما نهوا عن الكفر' فقال تعالى : " واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا " (٢) ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعدما جاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم ' (٣) ' ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم" (٤)

وقال أيضاً : كان المسلمون فى خير القرون أمة واحدة ' وكان العلماء فيهم أدلاء ونقلة لدين الله ' متعاضدين متحابين متعاشرين ' وماكان من اختلاف قليل رد إلى الكتاب والسنة ' ثم جاء عصرالتابعين وأئمة المجتهدين رضوان الله عليهم أجمعين ' فسلكوا على آثارهم اقتصاصاً واقتبسوا عن مشكلتهم إقتباساً ' وكان دين الله أجل فى صدورهم من أن يقدموا عليه رأياً أو تقليداً . وكانت تلك الأزمنة مملوءة بالمجتهدين ' وليس فيهم مقلد ' بل كلهم مجتهدون يستمدون من الأصليين الجليلين ' وهما كتاب الله وسنةرسوله النبى الكريم " فإن تنازعتم فى شىء فردوه

(١) رقم السورة : ١٤ ' رقم الآية : ٢٤

(٢) رقم السورة : ٣ ' رقم الآية : ١٠٣

(٣) رقم السورة : ٣ ' رقم الآية : ١٠٥

(٤) رقم السورة : ٨ ' رقم الآية : ٤٦

إلى الله والرسول“ (١) ’ ولكن خلف من بعدهم خلف ’ ففرقوا دينهم وكانوا شيعاً
”فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً، كل حزب بما لديهم فرحون“. (٢)

الغلو في الدين :

قد هاجم أبو الكلام آزاد على الغلو في الدين ، فقال :

”شهد الله في كتابه أنه جعل دين الإسلام يسراً لا عسراً فيه ولا حرجاً“ ”يريد الله
بكم اليسر ولا يريد بكم العسر“ (٣) و”هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج“
وأشهد رسوله صلى الله عليه وسلم أنه ينهى عن كثرة السؤال لأنه سبب لكثرة
التكاليف، وبين لنا أن الله سكت عن أشياء رحمة بنا، وأن لانكون كبنى اسرائيل،
شددوا فشد الله عليهم، ولكن هؤلاء المتفقهة المقلدة جعلوا اليسر عسراً والوسعة
ضيقة وحرجاً، والسمة شرسة، وشددوا على أنفسهم وعلى الناس، وإن لم
يشدد الله عليهم.

بسبب هذا الغلو الذي نهى الله عنه وذم أقواما عليه في قوله ” يا أهل الكتاب
لا تغلوا في دينكم“ (٤). هجر السلاطين المسلمون الشريعة في أمر القضاء والسياسة
بزعم ودعوى أن الشريعة شاقة وغير مطابقة لمصلحة الزمان، وتركها عامة الأمة
أيضا في أكثر أحوالها، وهم يمسون ويصبحون. لا يدرون ماذا يفعلون تراهم في عدو
إلى الجهل يخطبون. ”ظلمات بعضها فوق بعض“ (٥).

فقد دعا أبو الكلام آزاد إلى قمع البدع والخرافات والرسوم الموروثة والتقاليد
الجاهلية - ودعا إلى اتخاذ ربح الإسلام وحقيقته - ثم قال في نهاية المقال:

رَسْمٌ

(١) رقم السورة: ٤، رقم الآية: ٥٩

(٢) رقم السورة: ٢٣، رقم الآية: ٥٣

(٣) رقم السورة: ٥، رقم الآية: ٧٨

(٤) رقم السورة: ٣٤، رقم الآية: ٧٧

(٥) رقم السورة: ٣٤، رقم الآية: ٤

”لا اصلاح إلا بدعوة“ ولادعوة لإلبحجة“ ولاحجة مع بقاء التقليد.فاغلاق باب التقليد الأعمى‘ وفتح باب النظر والاستدال هو مسرد لكل اصلاح والسلام على الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه‘ اولئك الذين هداهم الله واولئك هم أولوالألباب“ (١)

هذا هو المقال المعجز كتبه ابوالكلام آزاد فى العددالأول من مجلة البلاغ - اخترت بعض الفقرات منها لاطهار براعته ودقة تفكيراًوسعة أفقه. وهى مقالة رائعة تثير العواطف والوجدان‘ تلهب الشعور والاحاسيس بأسلوبه النارى الملتهب. كما أنها تدل إلى دقة تفكير آزاد وقوة حجته وسعة أفقه وقدرته على الاستشهاد بالآيات القرآنية. وبجانب هذا يستشف من هذا المقال شان الخطابة العربية. وضعت جميع الآيات فى موضع يناسبها. أحيانا تكون هذه الآيات كتكملة للعبارات والجمل لم تكتمل الجملة إلا بها. كأنه يتكلم بلغة القرآن بحيث أن هذه الآيات حجج ساطعة وبراهين قاطعة فى كل مايقول.

هذا قليل من ذلك الكثير الذى نراه منثورا فى جميع كتاباته ومقالاته حتى فى خطباته. فلننظر كتابه ”تذكره“ وكذا ”خطبات“ و”قول فيصل“ على سبيل المثال ترى هذا الاسلوب القرآنى الرائع الجذاب الذى ألهب شعور عامة الناس واحاسيسهم حتى تيقظوا من الخمول والركود وشمروا الجد وقاموا للكفاح والمقاومة ضدكل شئ يخالف شخصيتهم وشعارهم. فقد أصبحوا صخرا جلدا أما التحديات المسيطرة آنذاك.

قال العلامة السيد سليمان الندوى: ”لاشك أن مجلتى الهلال والبلاغ لأبى الكلام آزاد قدأنشأتا الذوق القرآنى لدى الشبان المسلمين وفتحتا نوافذ جديدة-أما للجيل الجديد‘ وعرضتا الآيات القرآنية بأسلوب بلاغى‘ يتسم بالحكمة وجودة الصياغة‘ والقوالب الفنية التى أثارت القلوب بنور الايمان واليقين.

(١) رقم السورة: رقم الآية:

وفتحت أبواب البيان والتبيين، وكشفت معانى القرآن، وسمو قول الرحمن

وروعة بيانه. (١)

وذكر ابوالكلام آزاد فى "الهلal" منهج دعوته فقال:

"أنا أعرف تمام العرفان أن الصبر والحلم والتحمل والحزم خير من السخط والغيظ والسرعة والعجلان، وأعلم أيضا أن التسامح والتصفح واللينه والمروءة تتغلب على قلوب الانسان وتديرها وبالعكس أن العبوسة والتخشن وغلاظة القلب لاتدخل فى مكارم الانسان وخلقه. وقد قرأت فى كتاب الله عزوجل أن داعيا للحرية ومجاهدا فى سبيل الحق لما ارسله الله إلى ملك من ملوك مصر فقال: "قولا له قولا لي" (٢). وقد سمعت أيضا عن أعظم رجل فى هذه الدنيا وأكرمها وأفضلها، قال الله له: "فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فضا غليظ القلب لانفضوا من حولك" (٣) وقال السيد المولوى عبید الله - امجھير- فى رسالة أرسلها إلى إدارة

"الهلal": "لأنستطيع أن نعبر عن العظمة التى شعرنا بها فى قلوبها نحن المسلمين اليائسين والآمال التى ترعرت فى نفوسنا من أساليب بيانكم وهدايتكم العلمية وبراهينكم القرآنية، وإن ذاتكم وأسلوبكم لأكبر برهان على أن هناك نفوسا قدسية فى سنوات قحط الرجال، نفوسا لاتخاف فى الله لومة لائم. إنكم تأمرون بالمعروف وتهاون عن المنكر وتحيون القلوب الميئة بأسلوبكم المعجز، ما أعظم سحره وما أروع إعجازه" (٤)

وإذا نظرنا فى كتابه "تذكرة" وجدنا هذه الصفات الملكوتية فى كتابته، قد ذكر

(١) ابوالكلام آزاد: عبد المنعم النمر: ص. ١١٠

(٢) سورة طه: رقم الآية:

(٣) رقم السورة: رقم الآية:

أنظر: الهلal: ٨ / اكتوبر. ١٩١٤م (ماخوذ عن ابوالكلام آزاد: عبد القوى دستوى)

(٤) الهلal: ٧٨ / مايو. ١٩١٣م.

أبو الكلام آزاد أحوال الشيخ جمال الدين الدهلوى وأشار إلى جراه ته فى اظهار الدين الحنيف وإعلان الحق - قد أجبر مرة على التوقيع فى العهد الأكبرى على قرار يخالف الكتاب والسنة. فلم يوقع عليها ولم يخف السلطان والسلطة آنذاك فى الله **لومة لائم** - وقال أبو الكلام أن هذا الوقت وقت خطير تزلزل الأقدام بحيث يعرف أنه سيعضرب عنقه فى إنكار أمر السلطان. لكن الله شرح صدره لدينه وشريعته فلم يتزلزل قدم ثباته واستقامته. "ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون". (١)

وقد ذكر حالة المسلمين المقلدين المنغمسين فى الإفراط والتفريط - فهناك فرقة لو وجدت أى قول من أقوال أهل العلم يخالف النصوص الشرعية وأحكامها ظاهراً، كفرته وضلته بدون أى تمهل ولا روية ولو كان هذا العالم قد قضى عمره الطويل طبقاً للشرعية عاملاً عليها - أفنت عليها أنه منكر للشرعية الإسلامية... والفرقة الثانية جعلت الأحكام والنصوص تابعة لأحكام أئمتهم وأكابريهم لأجل المغالاة فى حبهم وإعتقادهم وقد وصلوا الى حد إتخذوا أحبا رهم ورهبانهم أرباباً من دون الله" (٣). تاركين الكتاب والسنة لأجل بعض النفوس غير العصام (٤)

وقد ذكر فى موضع: أن المعرفة والإيمان بالله والتبلى الى الله أساسها العلم ، لأن هذا هو العلم الذى يوقظ عاشقاً هائماً من فراشه فى ظلمة الليل وكان العالم كله غارقاً فى نوم عميق - فيوقظه عشق من عرفه وعلم به قبله، فيقف أمامه ويخضع له ويبكى لرؤيته ويرجو رحمته - ويبسطه أيدى الطلب لما رأى "بل يداه مبسوطتان" (٥). مملوء تان بالجود والكرم والسخاء "أمن هو قانت أثناء الليل

(١) رقم السورة: رقم الآية:

(٢) "تذكرة": أبو الكلام آزاد: ص. ٤٣

(٣) رقم السورة : رقم الآية

(٤) تذكرة : أبو الكلام آزاد ص ٥٥

(٥) رقم السورة : رقم الآية

ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ،قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ..“ (١)(٢).

قال ابوالكلام آزاد خطاباً لجمعية علماء الهند فقال (٣)

يا مشائخ الملة الاسلامية :

لو طلعت شمس هذه النهضة المباركة لعلماء الأمة وأشرقت في شكل ”جمعية العلماء“ فاسمحوالى أن أقول هذه جواب أسئلتى من عشر سنوات . وهذه مظاهر أمنياتى وتمنياتى ، وهذه بمكانة القبول والتقدير لتأوهاتى وطلباتى . وكذا هى بمثابة ”ما تشتهيهِ الأنفس وتلذ الأعين“ (٤). و”هذا تأويل رؤيائى من قبل قد جعلها ربي حقاً“ (٥). أيضاً قال ابوالكلام آزاد خطاباً للمسلمين فى المسجد الجامع فى دلهى اكتوبر عام ١٩٦٧ م ←

→ قد حذر فيها المسلمين عن الخوف وعدم الاستعانة والشكوك والشبهات ، ودعا الى الاستعانة والصبر والحلم والحزم ذاكراً شجاعة الاسلاف وحماستهم فقال . أيها الأعزة ! ليس عندى أى رسالة جديدة بل هى رسالة قديمة جاء محسن الإنسانية كلها وهذه هى رسالة القرآن التى أعلنت ” لا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين“ (٦)(٧) .

وهكذا نجد كثيراً من كتاباته ومقالاته وخطباته مليئة بالآيات القرآنية

... استعملها ابوالكلام آزاد بأحسن طريق وأكملها وجعل كتاباته وخطباته رائعة

(١) رقم السورة

(٢) تذكرة : ابوالكلام آزاد ص ١٩٥

(٣) خطبات آزاد : ابوالكلام آزاد ص ١١٥

(٤) رقم السورة : رقم الآية

(٥) سورة يوسف

(٦) سورة

(٧) خطبات ابوالكلام آزاد ٣٤٢..

مؤثرة تجذب القلوب وتهز المشاعر والأحاسيس. أحياناً يخيل إلى كأنه كان حافظاً لكتاب الله عز و جل على ظهر قلبه لأجل استعمال الآيات القرآنية والاستدلال بها بهذه الكثرة.. ولا يستعمل هذه الآيات في مقالاته فحسب بل جعل أسلوبه كأسلوب القرآني . ولا يمكن له إلا أن كان عارفاً ونايفاً في لغة القرآن هذه.....
الأحاديث النبوية:

مثل الآيات القرآنية قد ذكر أبو الكلام آزاد الأحاديث النبوية بنفس الكثرة في مقالاته وخطباته. فيدل هذا إلى غزارة علمه ووسعة نظره في الأحاديث النبوية التي نقلها أبو الكلام آزاد تائيداً لخطابه وتوثيقاً لمقالاته وخطباته...
نذكر هنا بعض الأحاديث النبوية على سبيل المثال التي ذكرها أبو الكلام آزاد في مقالاته وخطباته اظهرأ البراعته في المأخذ الثاني للشريعة الاسلامية..
ألقى أبو الكلام آزاد خطبة في كالكوته '٢٧/ اكتوبر عام ١٩١٤م. حول موضوع 'الاتحاد الاسلامي' (١) فقد حرص في هذه الخطبة على الأخوة الاسلامية فقال:

لو كان المجاهدون في سبيل الله' في ميادين بلقان ورووس محافظي كلمة التوحيد وصدورهم تجرح الصليبين ورماصهم ' فلعمرة الله علينا وملائكته ورسله إنا كنا جالسين مطمئني البال ' لأن الملة الاسلامية كالجسد الواحد ' انما اشتكى عضو تداعي له سائر الجسد بالسحر والحمي' (٢)
وقد روى أبو موسى الأشعري بهذا المعنى - "المؤمن للمؤمن كالبنيان' يشد بعضهم بعضاً" (٣)

وقال مولانا آزاد مؤكداً على نظم الجماعة وعدم التشتت والافتراق فقال :

(١) خطبات آزاد: ص ١٩

(٢) انظر ' صحیح مسلم ' كتاب البر: ٦٦

(٣) صحیح بخاری ' كتاب الصلوة- ٨٨ ' كتاب الأوب- ٣٦

”إن القصد بنظم الجماعة هو أن القدرة على أداء الواجبات واصلاح حال المسلمين فى الهند لا يمكن حصولها وظهورها لولم يتركوا حياة التشنت والافتراق ويندمجوا فى حياة اجتماعية ‘ أى لولم يجتمعوا تحت إمارة الشرع وقيادته طبقاً لأحكام نظام الشرع وهذا هو أساس العمل ‘ وجميع مقاصد الاصلاح و نفاذ مصالح الانقلابات وظهورها لاتبنى إلا على هذا الأساس ‘ (١) ‘عليكم بالجماعة والسمع والطاعة ‘ (٢) وكذا ‘ عليكم بالجماعة فان الشيطان مع الفذ وهو من الاثنين بعد ‘ (٣) وروى اصحاب السنن : إذا كان ثلاثة فى سفر فليؤم واحدكم ‘ (٤)ولهذا أعتبر منصب الخلافة إطاعة للنظم والجماعة حتى ينسلك جميع عقد منثورة فى سلك واحد ‘ (٥) هكذا نجد مئات من الأحاديث النبوية منثورة فى كتاباته ومقالاته ، مستفادة من كتب الصحاح والسنن والمسانيد ، لا عجب أنه كان ينقل الأحاديث من الكتب المتعلقة ويرجعها عند الضرورة فى كتاباته ومقالاته ولكن من العجب أنه كان يذكر هذه الأحاديث بداهة وإرتجالاً فى خطبه ، هذا دليل واضح على سعة اطلاعه وقوة ذاكرته وإتقانه فى نقل الروايات ..

الأشعار العربية :

إن أكبر مثال لبراعة ابي الكلام آزاد ونبوغه فى اللغة العربية وآدابها هو ذكر الأشعار العربية بالبداية فى مقالاته وكتاباتهِ - ‘غبار خاطر‘ ، ‘تذكرة ‘ ، ‘خطبات ‘ وكذا ‘الهلال ‘ ، ‘البلاغ‘ ، ‘لسان الصدق ‘ وغيرها نجد فى الكل هذه الميزة اللامعة التى تدل على إلمامه الواسع باللغة العربية وسعة افقه فى الأدب العربى وكذا تدل الى قوة ذاكرته وقدرته على الإخراج حسب الضرورة واستعمالها فى موضع

(١) خطبات آزاد : ص ١٣٠

(٢) صحيح بخارى : كتاب الجهاد - ورواه مسلم فى كتاب الإمارة

(٣) رواه مسلم : كتاب الصلاة . ٦٢ . وكتاب المساجد . ٢٦

(٤) رواه مسلم فى كتاب الصلاة

(٥) خطبات آزاد : ابوالكلام آزاد ص ١٣٠

مناسب ، كما أنها تدل الى ذوقه الشعري الذى يتدفق من بين الكتابات والمقالات ... ونرى هذا التدفق الشعري وتفجره عندما كان يجلس فى جوف الليل وحيداً ساكناً لا أنيس له ولا سمير ، والجو كله هادئ ، مطمئن ، فيضطرب هذا العاشق الهائم المجون .. بدأت تتموج أمواج قلبه فى بحر ألمه وحزنه وتتلهب شعوره وعاطفته وأفكاره ووجدانه ، تحاول أنهار كربه للخروج و تبحث عن ذلك سبيلاً ، لكنه لا يبكى على هذه الحالة المؤلمة بل يتمتع بلذة الألم ويتفرج فى هذه العزلة الموحشة .. يحل جبيرة جروحه ويداوى ويعالج بذكر خوالج نفسه ويصور غبارخواتره فى صفحات القراطيس بقلمه الجواد السخى الفياض الذى يوجد بكل ما فى وسعه ، وأمامه العلم والتاريخ ، الفلسفة والمنطق ، التفسير والحديث ، الشعر والأدب (كلهم واقفين ، صامتين خاضعين طائعين لخدمة هذا الرجل العظيم ، العاشق الجليل ، يتمنى كل واحد منهم أن يكون له مكان فى روضة كتابته ... من سبب

وكتابه ' غبارخاطر ' أحسن مثال فى هذا الصدد ، فلنأخذ هذا الكتاب على سبيل المثال ونرى فيه كيف يتدفق ذوقه الشعري العربى اللطيف من بين أسطر الكتاب .

١ . قد وصل الى أبى الكلام آزاد مكتوب من صديقه (حبيب الرحمان شيروانى) وكان ابوالكلام آزاد أنذاك فى 'بوت هاؤس' سرينغر - وكان المكتوب منظوماً - فكتب له ابوالكلام آزاد جواباً لرسالته وقال :

أعطانى السيد أجمل خان مكتوبك المنظوم ، لا أستطيع أن أعبر فرحى وسرورى لما رأيت رسالتك المليئة بالحب والعطف والحنان . قبلتها بعينى ... أنت لم ترسل هذه الرسالة المشمولة على ثلاث أبيات فحسب بل أنت فتحت باباً واسعاً للعطف واللفظ والعناية البالغة - (١)

قليل منك يكفينى ولكن

قليلك لا يقال له قليل

(١) غبار خاطر : ابوالكلام آزاد . ص ٥

٢ . لما وصل ابو الكلام آزاد الى قلعة أحمد نغر فذكر كيفيته عند وصوله الى القلعة بهذه الألفاظ :

”وصلنا الى أحمد نغر في الساعة الثانية . وكنا في داخل القلعة محبوباً بعد خمسة عشر دقائق . والآن إن الدنيا في داخل القلعة والدنيا في خارجها ، شتان بينهما- قد حالت بينهما مسافة طويلة إمتدت الى سنتين-(١)

كيف الوصول الى سعادة ورونها
قلل الجبال و بينهن حثوف

٣ . كان ابو الكلام آزاد يعود بالتدخين . فذكر قصة التدخين في السجن فقال :
”لما وصلت الى سجن ”على فور“ و كان معي علبة سيجار فيها عدة سيجارات . ومعلوم أن نظام السجن لا يسمح للتدخين في داخل السجن فأخرجت تلك العلبة من جيبي وأعطيت السجان إياها ، ثم لم أتدوق بالسيجار لمدة (سنتين) حين
مدة الاعتقال)’ وكان هناك بعض الأصحاب الذين يدخنون سراً في داخل السجن وكان رجال السلطة يعرفونها ولكنهم يغمضون عنها أعينهم . مع أن هناك بعض الآخرين الذين يجرؤون بالتدخين جهراً فكأنهم يعملون على هذا القول :

ألا فاسقني خمراً و قل لي هي الخمر
ولا تسقني سراً فقد أمكن الجهر

ثم ذكر أنه لما انقضت مدة الاعتقال و سمح له اطلاق سراحه ، ففي ذلك الصبح قدم إلى مدير السجن سيجارة استضافة لي : فصدقني أنا قبلت هذا التقديم بكل رغبة وغبطة كما أنا تركتها قبل سنتين بكل بساطة وسهولة ، لم يأخذني الريب والتذبذب في الترك والإختيار .(٢)

(١) غير خاطر : ابو الكلام آزاد . ص ٧

(٢) غير خاطر : ص ١٧

هذه القصة كما تدل الى حسن استعماله الشعر العربي فى موضع يليق به ،
تدل الى عزمه وثباته وقوة إرادته أيضاً .

٤ . ذكر ابوالكلام آزاد قصة ارتقاء ذهنه فى باب الاعتقادات . فقد طرأ عليه
مرحلة الشك ، وأحاطت به الشكوك والشبهات تجاه الاعتقادات والتقاليد الموروثة
فقد حان عليه أن أنكر جميع الاعتقادات تجاه الدين والشريعة كأنه كان على وشك
الإلحاد . لكنه لم يقف على هذا الحد بل كان مستمراً بطلبه وبحثه عن الحقيقة حتى
وصل الى منزله وعرف الحقيقة حق العرفان . فيقول :

إن الاعتقاد الذى فقدتها فى طلب الحقيقة والبحث عنها ،وجدتها بيد هذا
الطلب الدائم والبحث المستمر- وسبب مرضى ودائى أصبح شفاء ألى نهائياً .

تداويت من ليلى بليلى عن الهوى

كما يتداوى شارب الخمر بالخمر

لكن العقيدة التى فقدتها كانت تقليدية والعقيدة التى وجدتها هى عقيدة حقيقية.(١)
٥ . قد صور ابوالكلام آزاد عزلته الموحشة فى السجن حينما اشتد عليه نظام

السجن بحيث لا يسمح له لقاء الأقربة والأعزة ،حتى الرسائل لا تصل اليه - فيقول ؛
وقد وقعت هذه المرة صورة عجيبة - تغير كل شئ ، و غابت عنى جميع

الاشياء دفعة حتى الأصوات التى كانت تأتى من وراء جدران السجن انقطعت تماماً
وأصبحنا مثل أصحاب الكهف الذين قيل فيهم فضرنا على آذانهم فى الكهف ستين

عدداً (٢). فإن الدنيا التى كنا فيها وعشنا بها ، لم تكن بعدُ ... (٣)

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا

أنيس ، ولم يسمر بمكة سامر

(١) غبار خاطر : ص ٣٩

(٢) سورة الكهف رقم الآية

(٣) غبار خاطر . ابوالكلام آزاد ص ٩٧

٦ . كتب ابوالكلام آزاد رسالة في حصن أحمد نجر، وجعل لها عنواناً بـ ” حكاية زاغ وبيل “ذكر في هذه الرسالة بالخصوص أنواع العناد وتعريدها . وآثار الجو والجغرافيا على تعريدها . فقد صور تعريدها بالخصوص تصويراً بارعاً يعتبرها الشاعر الهائم كأنها ألحان و تأوهات في فراق الحبيب . فيقول في النهاية :

” هناك ثلاث أزواج من العناد ، بنى واحد منها عشه في كتف غصن الأزهار . ويكون هناك صمت بات في الظهيرة - ولكن ما قمت بعد استراحة قليلة لأكتب شيئاً إلا أنهم بدؤوا بالتعريد والألحان . كأنهم يعرفون أن هذا هو الوقت الذي يحل فيه المتأوه مثل جيرة جروحاً ويدأوى بخواطره . فبدؤا يجرحوننى بالحانهم المستمرة لكي يزداد قلقي وحزنى - فأصبحت حالتى كما كانت حالة الشاعر العربى حيث يقول: (١)

ومما شجاني أنتى كنت نائماً
أعل من برد بطيب التمس
الى أن رعت ورقاه من غصن أئكة
تغرد بكائها بحسن الترنم
فلو قيل بكاهها ، بكت صباية
بسعدي شفتيت النفس قبل التدم
ولكن بكت قبلى ، فهيج لى البكاه
بكاهها ، قلت الفضل للمقدم

٧ - قد ذكر ابوالكلام آزاد قصة العصفير التي كانت معه في السجن . فقد عودها مولانا آزاد بمصاحبه وقد دنت إليه شيئاً فشيئاً . وهي قصة رائعة حيث استضافها بتقديم الإيلاء بالآرز^١ وضمها بعيداً عنه ثم يقربها اليه تدريجياً فقد ذكر هذه القصة

(١) غيار خاطر: ص ٢٠٨

الرائعة فيقول :

وفى اليوم الثالث وضعت الإناء أمامى بقرب بالغ، وهذا التدرج من البعد الى القرب يذكرنى بيت علية بنت المهدي حيث تقول :

وحبب ' فإن الحب داعية الحب

وكم من بعيد الدار مستوجب الحب

٨. لما رأى هؤلاء الضيوف هذا القرب البالغ منى ترددوا فى الوصول الى الإناء ، فوصلوا بعد برهة قليلة الى فراشى ويقدمون رجلاً ويؤخرون أخرى ، وكنت أرى التذبذب والاضطراب فى أعينهم حتى جاء ذلك العصفور الجريئ الذى سميته "قلندر" ووصل الى الإناء واقتطف منها شيئاً فأتبعه الآخرون وهاجموا على الإناء . . . و"قلندر" هذا يقتطف من الإناء ثم يرفع رأسه وينتفخ كأنه يقول بلسان حاله : (١)

وما الدهر إلا من رواة قصائدى

إذا قلت شعراً ، أصبح الدهر منشداً

إن أكثر ما يلتفت اليه نظرى هو ذكر وفات زوجه ، وهى قصة مولمة محزنة ، قد ذكر مولانا آزاد اشتياقه وتلفه تجاه زوجته الكريمة وكانت عليلة منذ زمان وكان مولانا آزاد يقضى ربيع حياته فى السجن لم تسنح له مغامرات الدهر فرصة لأن يرعى زوجته ، وكان يسمع الأخبار عن علالة زوجته وخاف على صحتها وهو فى السجن ، حتى حان الوقت أن جاء الخبر الفاجع بموت زوجته فقد سبق لسانه بداهة فإن ما تحذرين قد وقع

ثم يقول : هكذا انتهت حياتنا الزوجية التى استغرقت ٣٦ سنة وحالت جدار الموت بيننا - نحن نستطيع أن نرى بعضنا بعضاً ولكن من وراء هذا الستار . . . هناك قبر فى صحن هذا السجن ، لأدرى لمن هذا القبر ، رأيتها مئات المرات منذ ما دخلت هنا ، ولكن أرى الآن وأذكر مرثية متمم بن نويرة الذى قالها فى رثاء أخيه :

(١) غبار خاطر: ابوالكلام آزاد ص ٢١٩

لقد لامنى عند القبور على البكا رقيقى لتذراف الدموع السـوافك
فقال : أتبكى كل قبر رأيتـه لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك
فقلت له ان الشجا يبعث الشجا فدعنى ' فهذا كله قبر مالك (١)
هذه هى العاطفة الحساسة تدفقت من أعماق قلبه وبسطت على صفحات
القرطاس ' تلهب شعور القارئـين والسامعـين وتجعلهم يشعرون بما يشعر هذا
الكاتب الأديب' ويجعلهم معترفـين برسوخ جذوره فى الأدب العربى وثقافته كأنه
يتنفس فى جو عربى خالص....

(١) غبار خاطر: ابوالكلام آزاد ص ٢٣٨
و أنظر: ديوان الحماسة لأبى تمام ' باب المراثى

الفصل الثالث

في

الأعمال المترجمة

لمولانا آزاد

نور اللمعة في فضائل الجمعة:

كان مولانا آزاد شغوفا بالمطالعة وقراءة الكتب خارجا عن المنهج المقرر من الدرس النظامي وقد بدأ بترجمة بعض الكتب والرسائل في حداثته سنة. وأول ترجمة قام بها ابو الكلام آزاد هي رسالة صغيرة لجلال الدين السيوطي^١ وقد ذكر مولانا آزاد قصة هذه الترجمة فيقول:

”قد جاء المولوى حبيب الرحمن رحمه الله‘ الذى كان أحد مریدی أبى وكان أساتذ المدرسه العالیه برسالة صغيرة لجلال الدين السيوطى كانت حول أحكام الجمعة - المسماة - نور اللمعة فى فضائل الجمعة - وكان المولوى حبيب الرحمن فى حاجة لترجمة هذه الرسالة - فقد جاء بها فى المساء وأعطاه ابن خالى - محمد سعيد‘ وابن خالى هذا قد رجح من مكة المكرمة حاليا ولم يتمكن فى اللغة الأردية.. فطلبت أن تلك الرسالة وأمليت ترجمتها. ففرح المولوى حبيب الرحمن فرحا شديدا. وتمنى أن لو ترجم الكتاب كله... فقد ترجمت كلها وأعطيها آياه“ (١)

خصائص محمدية: بعدما ترجم ”نور اللمعة فى فضائل الجمعة“ شعر ابو الكلام آزاد شيئا من الفرح والطمأنينة. فقد توجه إلى الترجمة. وبدأ يترجم رسائل صغيرة‘ وترجم ”أنيس اللبيب فى خصائص الحبيب“ لجلال الدين السيوطي‘ وكانت هذه الرسالة رسالة صغيرة ثم كتبها ابو الكلام مرة ثانية شرحا مطولا فى مجلدين. وطبعت ونشرت من دائرة المعارف حيدرآباد باسم ’خصائص كبرى‘.. وقد نشرها مولوى حبيب الرحمن مرة أخرى باسم ”خصائص محمدية“ (٢)

منهاج العابدین: الكتاب الثالث الذى ترجمه ابو الكلام آزاد هو ”منهاج العابدین“ للإمام الغزالي. ذكر ابو الكلام آزاد أنه وجد هذا الكتاب فى مكتبة أبيه

(١) آزاد كى كهانى: ٤٨-٤٧. ٢٤٧.

(٢) المصدر السابق

وحسن له محتواه فبدأ يترجم وكمله حتى قيل أنه طبع ونشر..

نفحات الأنس:

هناك كتاب آخر بإسم 'نفحات الأنس' لمولانا جامي' بدأ يترجمه ابوالكلام

آزاد ولكن لم يكمله، بل ترجم بعض الأجزاء من هذا ثم تركه. (١)

المرأة المسلمة: وكان هذا الكتاب لكاتب مصري وهو "فريدوجدي" قد ترجمه

ابوالكلام آ زاد في اللغة الأردية نظرا لأهميته. وسماه بـ "مسلمان عورت" وقد تكلم

في هذا الكتاب حول مسائل حرية النسوة وحقوقها. وأثبت في النهاية أن الحرية في

مسائل النسوة في الغرب والشدة الموروثة القديمة في مجال النسوة في الشرق

كلاهما بين الافراط والتفريط. وكلاهما مخالفا لقانون الفطرة. والطريق السوي في

باب حرية النسوة هو سبيل الاقتصاد بين الافراط والتفريط.. (٢)

وجدير بالذكر أن الكتب العربية التي ترجمها ابوالكلام آ زاد في اللغة الاردية

لم توفر لدينا حتى نقف على محتواها ونرى براعة ترجمته إياها. إلا هو كتاب "المرأة

المسلمة" هو موجود في مكتبته (ICCR).

والشيء الثاني الذي يلفت انتباهنا هو أن معظم الكتب التي صنفها ابوالكلام

آ زاد في اللغة الاردية سماها باسم "عربي خالص" فمثلا:

إعلان الحق: أحسن المسالك، ضوء غير مرئي، العلوم الجديدة والاسلام، خصائص

مسلم، القول الثابت، اتحاف الخلف، الدين الخالص، الحرية في الاسلام، الدين

القيم، جامع الشواهد في دخول غير المسلم في المساجد، وكذا الجرائد والمجلات

التي أجزها مثل "الهلال" "البلاغ" "لسان الصدق" وغيرها.

أسماء هذه الكتب والجرائد والمجلات لأبي الكلام آ زاد تدل وتشير إلى حبه

(١) آ زاد كى كهانى خود ان كى زباني: ص. ٢٤٩

(٢) ذكر آ زاد: مولانا مليح آبادي: ٢٨١

العميق وارتباطه الوثيق باللغة العربية كأن هذه اللغة تتدفق من داخل شعوره ووجدانه، فقد حبيب له أن يسمى تصنيفاته وكتاباتة على اسم "عربي خالص". كأنه رأى أن هذه العناوين باللغة العربية أبلغ وارسخ وأقوى في البيان والإيضاح.

تعليقات أبي الكلام على الكتب العربية:

قد علق ابوالكلام آزاد على كثير من الكتب العربية وغيرها باللغة العربية، والفارسية وكذا الأردية. فحسن لي أن أذكر بعض الكتب العربية التي علق عليها باللغة العربية في اثناء مطالعة تلك الكتب. وكان هي عادته منذ حداثة سنه. وهذه العادة توارثها من أبيه حيث ذكر هو بنفسه فيقول:

"أنصحني أبي على أن أعلق على كل كتاب أقرأ وأطالع ولولم تكن هناك ورقة، فألكتب على حاشية الكتاب، ولولم يكن هناك مكان في الحاشية، فألجعل علامة أو إشارة ولونكته صغيرة. أي لا بد لي أن أستخدم القلم أثناء المطالعة حتى أستحضر المواد التي قرأتها عند الضرورة" (١)

فكنت أداوم وأواظب على هذه العادة الحسنة ووجدتها ممددة ومعينة لاستحضار المواد التي قرأتها..

وجدت أن هناك تسعة عشر كتابا عربية تقريبا (١) علق عليها ابوالكلام آزاد وهذه الكتب على موضوعات شتى مثل الفلسفة والمذهب، الأدب والتاريخ والجغرافيا وغيرها، علق عليها باللغة العربية والأردية وكذا الفارسية.. والتعليقات باللغة العربية بالخصوص بعضها يقرأ وبعضها لا تسهل قراءتها إلا بالدقة والتمحيص. كما أن هذه التعليقات تحتاج إلى دراسة وتحقيق. وأنا عازم بأني لو سئحت لي الفرصة فيما بعد أقوم بدراسة هذه التعليقات وتحقيقها حتى تتزود مآثر مولانا آزاد العلمية.

(١) آزاد كي كهاني: ص. ٢٦٩

(٢) أنظر حواشي ابوالكلام آزاد: السيد مسيح الحسن. ص. ٢٣

ولكن هنا نذكر بعض الكتب التي علق عليها آزاد باللغة العربية على سبيل المثال حتى نتعرف ثقافته الواسعة وحبه العميق وإلمامه الواسع باللغة العربية.

١- الاعتصام: للإمام الشاطبي: قد علق على بعض صفحاتها باللغة العربية. فانظر صفحة رقم ١٥، ١٦، ٩٠، ٩١، ١٢٨. (١)

٢- تاويل مختلف الحديث: لابن قتيبة: قد علق على حواشي بعض صفحاتها أحيانا باللغة العربية وأحيانا باللغة الفارسية. فانظر صفحة رقم: ٧٦، ٨٣، ٢٦ وغيرها.

كان متن الكتاب عن العدوى والشؤم في المرأة والدار والداية علق ابوالكلام آزاد في حاشيتها فيقول: "لم يصح في هذا الباب شيئا عن رسول الله ﷺ" (٢) وكان هناك متن في نفس الكتاب: " كان رسول الله ﷺ يقنت في صلاة الصبح والمغرب". علق عليها ابوالكلام آزاد فيقول: في هذا الحديث قنوت بمعنى الدعاء وهو أعم وأوسع في الاختلاف" (٣)

٣- مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية: علق على صفحات عديدة منها لكن لا يقرأ. (٤)

٤- الفوائد البهية في تراجم الحنفية: لمحمد عبد الحي اللكناوي: قد علق على بعض المتن. فيقول: "لو كان الاختلاف والاهتراق رحمة لكان الاتفاق عذابا" (٥) وقد علق على صفحة أخرى فيقول: "... هذا مخالف مانص عليه السيوطي نفسه حيث قال في "تذكرة الحفاظ" ولأستبعد أن يكون فيه إجازة خاصة. والذي كان يترددون إليه وينوب في محكم منه وايضا صرح به في "التدريب" فيه وهناك

(١) أنظر حواشي ابوالكلام آزاد: ص ١٥٢

(٢) أنظر تاويل مختلف الحديث: ص. ١٥٨

(٣) نفس المصدر: ٣٣٣

(٤) مجموعة الرسائل لابن تيمية: صفحة: ٣٧، ٣٨، ٣٢٦، ٣٢٨، ٣٣٢.

(٥) الفوائد البهية في تراجم الحنفية: ص. ١١٠٢

صفحات أخرى علق عليها باللغة الفارسية.

٥- احياء العلوم للإمام الغزالي: قد علق على صفحات عديدة وهي تعليقات مبهمة أو

هي أشارات غير واضحة. (١)

٦- القرآن الكريم: (حمائل شريف) الذى ترجمه نذير أحمد خان. قد علق على

صفحات كثيرة ولكن بالكلمات وقطعة من الأحاديث وجزء من الآيات. (٢٠)

٧- ذيل التذكرة لبعض تلاميذه: نجد بعض الاشارات على حواشى بعض الصفحات

باللغة العربية تصعب قراءتها. (٣)

هذه التعليقات على هوامش الكتب تحتاج إلى دراسة وتحقيق بكل دقة

وإمعان حتى نتعرف مدى غزارة علمه ووسعة نظره فى علوم شتى وعمق فكره فى

جميع العلوم والفنون من الفلسفة والتاريخ، والهيئة وتاريخ العالم، والعلوم الاسلامية

والآداب العربية وثقافتها..

(١) انظر: احياء العلوم للغزالي: ص. ١٢٩، ١٣٠، ٢٦٤، ٢٦٩.

(٢) أنظر: حمائل شريف: (القرآن الكريم) ٣، ٧، ٧٥، ٩٣، ١٠٢.

(٣) انظر: ذيل التذكرة: داؤد الأنطاكى: ص. ١٥٣، ١٥٤، ٢٠٨.

الباب الثالث

في

ترجماء القرآن

الفصل الأول

تعريف موجز لترجماء القرآن

إن من أهم الأعمال التي قام بها أبو الكلام آزاد في ميدان التأليف والتصنيف هو كتابه "ترجمان القرآن". وهذه عصارة فكره العميق وبحثه الدقيق طوال ٢٧ سنة. حيث قال بنفسه:

"لقد مضى على سبع وعشرون عاما بالتمام والقرآن كان موضوع مطالعتي ودراستي ليلى ونهارى. ذهب بي الفحص والتفكير وراء سؤر القرآن و آياتها بل وكلماتها إلى أبعد حدود وأوسع نواحيه فدقق فكرى سورة سورة وحقق نظرى آية آية. ونقبت دراستى لفظا لفظا، ولى أن أقول أننى قرأت من كل ما يوجد من الكتب والتفاسير خطية كانت أم مطبوعة. أكثرها فلم تفتنى ناحية من نواحي علوم القرآن، وإذا كانوا قد قالوا أن فى العلم قديما وحديثا فإننى لم أقف عند واحد منهما، فالقديم قد ورثته، وأما الجديد فقد فلقتة بعصاى وجعلت لنفسى إلى سبيلا فهو عندى كلقديم علما وخبرة" (١)

ويقول مشيرا حرية فكره فى هذا الميدان أيضا فيقول:

"إن كل ما وهبت لى أسرتى وبيئتى وما أسيملتى إلى من أوضاع الاجتماع والتعليم أبيت أن أقنع به من أول وهلة فما حالت دونى قيود التقليد وعوائده فى آية ناحية قصدتها، لم تزل عاطفة الفحص والتنقيب منى عطشى أينما حللت، فلى فى داخل فؤادى اليوم يقين شاكته الظنون وألوانها ولى فى أعماق روى عقيدة ابتليبت لكل بلاء العصيان وعذاب الجحود والتمرد، ولقد شربت مرارة سم من كل كأس وجربت مضاده من كل مستشفى، وحينما كنت ظمآن لم يكن ظمى كغيرى، وعندما ارتويت كان مشربى غير المنهل الذى يشرب منه عامة الناس".

وبعد الفحص والطلب طوال هذه السنوات بسطت من القرآن كما علمت

وقدر ما علمت على هذه الصفحات. (٢)

(١) أنظر: ترجمان القرآن. ج ١/ ص ٥٢، ٥١

(٢) ترجمان القرآن: ج ١/ ص ٥٣

”ماكان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شئ هدى ورحمة لقوم يؤمنون“.(١)

قدكتب مولانا آزاد مقدمة طويلة لهذاالترجمان (ترجمان القرآن) وهذهمقدمة رائعة من حيث النوع والمحتوى‘ فقد تكلم عن معايير القرون السابقة فى فهم القرآن ودراسته وتدبره وكذا العوائق والمؤثرات التى تهوم حول المفسرين والمترجمين. والصبغة الخاصة التى يعيش فيها المترجم أوالمفسر.. فهذه الاشياء تبعد صاحبها عن فهم الحقيقة وإدراكها ويتخبط خبط عشواء فى الشبكة التى حاكها لنفسها. وقد ذكر مولانا آزاد أن لتفسير القرآن عهدان: عهد لم تكن فيه العلوم الاسلامية قد دونت. وهذاالدور الأول فى التفسير والدور الثانى بدأ بعهد التدوين والكتابة‘ وإنى أعتقد أن اللباس المصنوع للقرآن بدأ منذ ذلك التاريخ. فقد بلغ فى عصر ازدهار الفلسفة والعلوم المترجمة‘ وفى نفس ذلك العصر كتب فخرالدين الرازى تفسير الكبير‘ واجتهد أن يزين صورة القرآن بذلك اللباس القشيب المصنوع“.(٢)

ولعل هذا هو السبب قيل عن التفسير الكبير للامام فخرالدين الرازى:
فيه كل شئ إلا التفسير.

الحاجة الى هذا الكتاب :

كانت هناك عشر مئآت من التراجم والتفاسير والتفاسير وقتئذ كان مولانا آزاد قام بهذه المهمة العظيمة‘ لكنه رأى أن هذه التراجم والتفاسير المتداولة لاتسد حاجات المسلمين طبقا للظروف والأوضاع ولا تروى غليلهم. فقد أحس بالشدة الحاجة الماسة إلى تأليف ترجمان القرآن ترجمة وتفسيرا حيث يكون متناولا لأيدى عامة الناس. ويكون على أسلوب بليغ يفهمه القارى ولا يزعجه التفاصيل

(١) سورة يوسف: رقم الآية: ١١١

(٢) ترجمان القرآن ج ١/ ص ٣٥.

غير اللازمة والاسرائيليات وكذا يتنزه 'هذا الترجمان' عن الجدل الكلامي والفلسفي، ويرتفع مستواه عن الوضعية والتقليد الأعمى كما نرى في التفاسير الأخرى.

فقد ذكر مولانا آزاد أغراض هذا الترجمان في مقدمته من أهمها ما يلي:

١- إن الغاية الرئيسية لترتيب هذا الترجمان 'ترجمان القرآن' أن يكون **هناك** كتابا متوسطا بين الإطناب الممل والايجاز المخل، لمطالعة القرآن العامة وتعليمه، من حيث أن يكون أكثر وضوح وبيان من مجرد الترجمة وأقل حجم من التفاسير المطولة..

٢- لابد من أن تراعى في مطالعة ترجمان القرآن أن محوره الاساسى لجميع مميزات هذا الترجمان هي ترجمته واسلوب هذه الترجمة. لو أمسكت هذا لكان الكتاب كله أمام عينيك، وإن خفى هذا الأمر لكان الكتاب كله يخفى عن أعينك. (١)

٣- إن هذا الترجمان "ترجمان القرآن" لا يخوض في المباحث التفسيرية المملة ولا في الجدال الكلامية بل أنه يقدم مطالب القرآن ومفاهيمه في أحسن نظم ونسق وترتيب طبقا للأصول والقواعد المختارة. (٢)

تاريخ هذه الترجمة والتفسير:

قد غرست بذور هذه الفكرة العالية عندما كان يصدر مجلة "الهلال" و "البلاغ". وكثرة استعمال الآيات القرآنية والاستدلال بها في المقالات والكتابات لاتدل إلى مدى رسوخ آزاد في القرآن الكريم فحسب بل أيضا تدل إلى أن هذا الكتاب المجيد قد رسخت جذوره في أعماق قلبه وفكره. (٣)

(١) ترجمان القرآن: ج: ١/ ص. ٥١

أيضا أنظر: مولانا ابوالكلام آزاد، ذهن وكردار: عبد المغنى. ص. ٦٨

(٢) المصدر السابق.

(٣) ابوالكلام آزاد: شخصيت اور كارنامى: خلیق انجم. ص. ٣١٣

فقد أعلن في العدد الأول من مجلة البلاغ عام ١٩١٥م عن هذه الخطة العظيمة. فقال: إن ترجمة شاه ولي الله الدهلويّ باللغة الفارسية وترجمة إبنه باللغة الأردية قد مضى عليها أكثر من قرن تقريباً. والآن قد وفق الله مدير "الهلال" أن يكمل هذه المهمة العظيمة التي شرعها شاه ولي الله الدهلوي. (١)

قد ذكر الشيخ بربان الدين السنهلي صورة الترجمان الحالية. فيقول:
"نجد هناك إشارات أن أبا الكلام آزاد أراد أن يكتب ثلاثة كتب مختلفة لدراسة القرآن الكريم وتعليمه نظراً لضرورات ثلاث مختلفة. ولكن نجد في بعض المواضيع ما يدل بصراحة أنه قد فرغ من عملية التسيّد، أضاعتها حوادث الزمان خاصة حينما كان تحت إساءة الحكومة واعتقالها. فأول من هذه الكتب الثلاث هو "مقدمة التفسير" التي احتوت على علم المباحث الأصولية. حول مطالب القرآن ومقاصده.

والثاني: "البيان" لدراسة القرآن الكريم. والثالث: هو ترجمان القرآن لتعميم نشره في عامة الأوساط العلمية العالية. وقد أشار المؤلف في بداية المجلد الثاني من الكتاب أنه شعر مسبقاً بقلّة الوقت والفرصة التي لا بد منها لتكميل الكتابين. لأجل ذلك فإنه حاول أن يضم مباحث البيان ومحتوياته بالإختصار في المجلد الثاني من الكتاب، ولأجل ذلك نجد المجلد الثاني يحتوى على التحقيق والإطناب وتنويع المباحث القيمة أكثر مما نجده في المجلد الأول، كما نجد فيه شيئاً كثيراً من المعلومات الحديثة المهمة. وهذا الذي يجعل الجزء من الكتاب يمتاز من بين الكتب التفسير المعاصرة، كما نجد له أثراً ملموساً في التفسير التي ألفت فيما بعد". (٢)

(١) البلاغ: نوفمبر عام ١٩١٥م نقلاً عن ابواللام آزاد: عبدالمغنى. ص. ٦٩.

(٢) ثقافة الهند: عدد خاص ١٩٨٨م ص. ١٥٣.

قد كتب مولانا آزاد معظم أجزاء هذا الكتاب عندما كان معتقلا في رانتشى لمدة اربع سنوات (١٩١٦م الى ١٩١٩م) وبدأت طباعة هذه المسودة حتى أعتقل مرة أخرى عام ١٩٢١م. واتلفت المسودات من خلال التفتيش. وجدنا أن هذه المسودات أتلفت ثلاث مرات حينما حكم ابوالكلام آزاد بالقيود والاعتقال فى اوقات مختلفة. فقد نهب رجال الحكومة جميع المسودات خلال التفتيش وأتلفوها. فقد عز على أبى الكلام آزاد هذا التلف وشق عليه أن يكتب من جديد. فيقول مولانا آزاد:

”الآن لا يمكن وجود ترجمان القرآن وتفسيره إلا أن اجتهد من جديد، لكن هذا الحادث المؤلم أوقعنى فى حزن وكآبة حيث لم أتمكن على الكتابة من جديد ولوحاولت كثيرا..“

ولكن نظرا لأهمية هذا الكتاب ولحاجة الناس إليها، قدشمر الجد مرة أخرى للكتابة من جديد فى عام ١٩٢٧م. كمايقول هو بنفسه:

”كاد أن يختم العام ١٩٢٧م اذا اهتزت نفسى التى كانت راكدة منذ زمان والعقد البتى لم تحلها محاولات الذهن والفكر المستمرة ولم تستطع أن تمهدا للعمل، قد تحللت بنفسها فجأة لمجرد عزم ماج فى قلبى“ (١)

فقد طبع المجلد الأول ونشر عام ١٩٣٠م وكان هذا المجلد مشتملا على تفسير سورة الفاتحة الى سورة الانعام:

والمجلد الثانى طبع فى عام ١٩٣٦م وكان هو من سورة الاعراف إلى سورة المؤمنون وقد أعلن مولانا آزاد^١ يكون المجلد الثالث من سورة النور الى سورة الناس.. وسيكون على سبعمائة صفحة تقريبا (٢) ولكن لم توف حياته، فلم تصل هذه المهمة العظيمة إلى التكميل والاتمام.

(١) ترجمان القرآن: مقدمة: جزء ١. ص. ٦٤

(٢) ترجمان القرآن كا تحقيقى مطالعه: مولانا اخلاق حسين قاسمى. ص. ٤٤

لما نشر المجلد الأول فرح ابوالكلام آزاد فرحاً شديداً كأنه رأى أن الرؤيا التي رآها منذ زمان قد حقت تعبيرها في صورة هذا الترجمان . فيقول:

”قد شعرت قبل ستة عشر عاماً ضرورة هذا الكتاب والحاجة الماسة لهذه المهمة العظيمة لكن من الأسف إن العقبات والموانع حالت دون هذا العمل المبارك حيناً لآخر. ولم تكمّل هذه المهمة. ولكن الآن قد اكتمل هذا العمل الشاق وبدأ ينشر، فأنا أشعر أن ستفتح لإصلاح المسلمين جميع الأبواب التي كانت مغلقة بما كسبت أيديهم.(١)

وقد طبع ’ترجمان القرآن‘ فيما بعد، بثلاث مجلدات-وأعطى مجلداً كاملاً لتفسير سورة الفاتحة نظراً لأهميتها وشرحها وبسطها ... ثم طبع هذا التفسير بشكل كتاب باسم ”أم الكتاب“ نظراً لأهميتها البالغة . والمجلدان الآخران لترجمة البقية وتفسيرها - وقد اعتنى ساهتيا اكاىمى اعتناءً بالغاً بنشر جميع المقالات والكتابات لأبى الكلام آزاد مع مراعاة جميع الأمور اللازمة من حسن الترتيب والتنظيم وكمال التنسيق . وإن أكثر ما اعتنى به فى هذا الصدد هو كتابه الخالد الحى ”ترجمان القرآن“ . ومعلوم أن ابا الكلام آزاد لم يكمل تفسيره بل وصل الى تفسير سورة المؤمنون ، وكان عازماً أن يكمل هذا التفسير الى نهاية القرآن الكريم ولكن لم توف حياته وقضى على أجله ... وقيل أنه قد أكمل ترجمة القرآن وتفسيره ولكن أتلفت المسودة من خلال التفتيش والبحث وضاعت حينما كان فى القيد والإعتقال ... قد طبعت الترجمة والتفسير بمجلدين فى حياته - ثم طبعت بثلاث مجلدات كما ذكرت آنفاً . ومن حسن الحظ قد وجدت مسودة ترجمة سورة النور وتفسيرها وحواشيها من بين مسودته الأخرى - فقد قامت ساهيه اكاىمى بطبع هذه الترجمة والتفسير ونشر فى مجلد . وهو المجلد الرابع

(١) ترجمان القرآن: ج / ١ . ص . ١١

لهذا الترجمان - فهذه هي الطبعة الجديدة بأربع مجلدات بين أيدينا . أنا أعتقد أنها من أحسن الطبعات من حيث الشكل والترتيب والفهارس يسهل على القارى مراجعة لأى موضوع يريد ..

فالمجلد الأول : هو فى ترجمة سورة الفاتحة وتفسيرها - وهذا المجلد يحتوى على ٥٥٤ صفحة من الطبعة الجديدة. وهو أول كتاب من نوعه، قد فسر ابوالكلام آزاد هذه السورة شرحاً وافياً . وقال إنها هي أم السور وهي أم الكتاب . وهي عصيرة من جميع التعليمات القرآنية.(١)والقرآن كله تفسير وتفصيل لهذه السورة المجملة . فقد فسر معنى الرب والربوبية وحاول أن يحيط جميع جوانب الربوبية بعناوين مختلفة - واستدل بهذه الربوبية على الوحي و الرسالة والمعاد أيضاً .. ”أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون“ (٢). وتسود أكثر من ستين صفحة فى تفسير ”الربوبية“ سنتكلم عليها فى مكانها .

والمجلد الثانى : هو فى ترجمة وملاحظات تفسيرية من البقرة الى سورة الأنعام . والمجلد الثالث : يحتوى على ترجمة وتفسير من سورة الأعراف الى سورة المؤمنون .

والمجلد الرابع : هو فى ترجمة وتفسير لسورة النور . فى الحقيقة إنه أول كتاب من نوعه ألف فى القرنين الماضيين . ألفه ابوالكلام آزاد ورتبه طبقاً لظروف مسلمى الهند وسد حاجاتهم العقلية والفكرية . إنه دعا بهذا الترجمان الى الوحدة والأخوة على لسان القرآن ببيان عذب وأسلوب رصين جذاب ، ولم يجعل هذا الكتاب كتاباً دينياً علمياً فحسب بل أصبح هذا المؤلف أكبر مثال فى التفسير الأدبى لا مثيل له من قبل ولا من بعد.(٣)

(١)ترجمان القرآن ص ٣

(٢) سورة المؤمنون . رقم الآية

(٣) انظر : ابوالكلام آزاد 'ايك همه غير شخصيت' رشيد الدين خان ص ١٤٦

الملاح العامة عن هذه الترجمة (ترجمان القرآن) :

قد ذكر الدكتور عبدالمنعم النمر بعض الملاح عن ترجمان القرآن

فيقول: (١)

إذا أردنا أن نذكر الملاح العامة عن هذه الترجمة وما أضاف إليها آراد من

تفسير وإيضاحات فإنه يمكن أن نذكر الخطط العربية الآتية :

١. أنه متأثر بمدرسة ابن تيمية وتلميذ^٨ ابن القيم قديماً . وبمدرسة الامام محمد عبده والسيد رشيد رضا حديثاً.

٢. إنه يؤثر قول الصحابي في تفسير القرآن حين يتأكد من صحيفة بخلاف قول التابعين .

٣. لا يرى أن نشد القرآن أو نخضعه للمصطلحات العلمية التي جدت على المجتمع الاسلامي نتيجة الترجمة عن اليونان والفرس .

٤. كما لا يرى اخضاعه للإسرائيليات والروايات المشكوك فيها .

٥. لا يرى اخضاع القرآن للمذاهب الكلامية والفقهية والصوفية .

٦. لا يرى انزال معاني القرآن على ما كشف من نظريات علمية حديثة قابلة للنص بنظريات مثلها .

هذه الملاح العامة قد ميزت تفسير آراد والآراء التي أبدأها . فقد ولد له

أنصار كثيرون كما وجد له معارضون - فسندكر في الصفحات الآتية ميزات هذا الترجمان ، وآراء آراد في بعض الآيات ^٩ نعتبرها تفرد آراد فيها ..

لفت نظر:

إنه من العجب أن الامام فخرالدين الرازي المتوفى سنة (٦٠٦هـ) وصل في

تفسيره الى سورة الأنبياء حتى وافته المنية ولم يسططع تفسير غيرها .

(١) ابو الكلام آراد : د/ عبد المنعم النمر ص ١٤٥

لكن قد فسر البقية الشيخ شهاب الدين دمشقى المتوفى ٦٣٩هـ والشيخ نجم الدين المتوفى ٧٢٧هـ على الترتيب. ومن الواقع أن هؤلاء المكملين قد كتبوا أجزاء نصيبهم على نفس المنوال التى سلكه الامام الرازى من حيث الاسلوب والفكر.. فقد تحير العلماء برؤية هذا التماثل الوثيق بحيث لا يستطيع القارى أن يميز الاجزاء التى فسرهما الامام الرازى من الأجزاء التى فسرهما من بعده-

وكذا الحال فى تفسير جلالين . كتب النصف الاول من هذا التفسير العلامة جلال الدين السيوطى المصرى المتوفى سنة (٧١١هـ) وأكمل النصف الآخر هو الامام جلال الدين المحلى . بينهما تشابه شديد تماثل وثيق من حيث الاسلوب والاداء.. (١) ولكن هذا الكتاب الجليل ” ترجمان القران “ . لا يزال ينتظر إلى آزاد آخر يتحلى بنفس الصفات الملكوتية يتسلح بنفس القريحة الوقادة. يتصف بنفس الطبية الساذجة و يتسم بنفس الاسلوب الرصين الجذاب . يلمس القلوب و يحرك الوجدان ، حتى يقوم بتكميل هذه المهمة العظيمة التى وقفت فى الطريق ، تبحث عن صاحبها الفقيد ، تنتظر إلى أنعم بديل ، يؤديها إلى أحسن تكميل ...!!

انظر: ترجمان القران ، ايك تحقيقى مطالعه ص ٤٤

الفصل الثاني

مكانة ترجمة القرآن العلمية

إن هذا التفسير الذي ألفه أبو الكلام آزاد و سماه ترجمان القرآن نال مكانه مرموقه في جميع الأوساط العلمية والادبية، وله مزايا كثيرة لا تعد ولا تحصى ، لأن مولانا آزاد لم يقلد احدا . و لم يتبع المفسرين القدامى والجديد . بل إختار لنفسه المثل الاعلى و سلك مسلكا يطابق بروح الكتاب والسنة والقطرة الانسانية، وانه لم يلتفت إلى العلوم العقليه والاصطلاحية التي وضعت وراجت في القرون الوسطى والعصر العباسي ، لأن الفلسفة اليونانية والعلوم العقلية قد تغلفت في صميم الدين وأفسدت روح الاسلام ، فقد تجنب آزاد عن هذه التقولات في تفسيره .

”إن ترجمان القرآن“ هو أول كتاب من جميع مطبوعاته الذي اشتراه الناس بكل غبطة وشوق وقرؤوه بكل رغبة واشتياق .(١)

وقد أثنى مولانا السيد سليمان الندوى على هذا التفسير ثناءً عاطراً حيث قال :
”أما أنا فأقدر تفسير ”ترجمان القرآن“ تقديراً حيث أن المصنف مولانا آزاد تعمق في الموضوع و إختار في تفسيره طريقة العلامة ابن تيمية وابن قيم ونهج منهجها وعرف روح هذا العصر وسلك مسلكها في زمن الفتنة الانجليزية الافرنجية“ (٢).

في الحقيقة كان أبو الكلام آزاد أديباً بالطبع ، قد ولد أديباً وخلق عبقرياً وعاش أديباً ومات أديباً وله أسلوب ممتاز فائق ~~عالي~~ جداً وأسلوبه جذاب أنيق تجد فيه لذة ومغنة وحلاوة وجمالاً . قال مولانا سعيد الدهلوي :

”لو نزل القرآن باللسان العربي المبين فترجمة مولانا أبي الكلام آزاد الى اللسان الاردي المبين“ (٣).

(١) نقش آزاد : ص ٣٤

(٢) انظر ثقافة الهند : عدد خاص ١٩٨٨ ص ٢٠٠

(٣) مجلة جامعة ابريل عام ١٩٨٨ ص ١٥ - ٦١

وقال شيخ الهند مولانا محمود الحسن الديوبندى :

”إن مولانا آزاد أيقظ الأمة الاسلامية برسالة القرآن حينما كانت فى سبات

عميق“.(١)

وقال البروفيسور على أشرف :

”فى الحقيقة أن تفسير ”ترجمان القرآن“ لمولانا آزاد انما تراث علمى يبلغ حد الأهمية البالغة فيما بين التفاسير التى صنفت خلال القرنين الماضيين فى الهند وانه بمثابة الدرجة الثانية بعد تفسير السير سيد أحمد خان فى اللغة الأردية .والذى قام بتمثيل معانى القرآن على نمط يجاوب مصالح الهند من كل الأطراف بالاضافة الى رعاية تامة بمتطلبات أذهان الهنود العصريين وقيمهم الثابتة وبالرغم من ذلك هناك أمر لا يشوبه الشك أن عواصف الاختلاف التى صمد لها تفسير السير سيد أحمد خان ،لم تتعرض لتفسير ”ترجمان القرآن“ (٢)

وقد كتب السيد اختر على تلهرى مقالا طويلاً حول ”ترجمان القرآن“ واعترف فيها بقدر هذا الكتاب وقيمه العلمية - وأثنى على صلاحية المؤلف ثناء أجميلاً.(٣)

ميزات ”ترجمان القرآن“:

لما خضنا فى غمار هذا البحث عن ميزات ”ترجمان القرآن“ وجدنا هناك مقالات وكتابات كثيرة كتبت حول ”ترجمان القرآن“ وميزاته ، فنذكر هنا بعض أهم الخصائص التى تتجلى من خلال دراسة ترجمان القرآن. فقال مولانا اخلاق حسين القاسمى فى مقالة له :

يعتبر مؤلف ”ترجمان القرآن“ مفخرة ومآثرة عظيمة للحياة العلمية التى قضاها الشيخ ابوالكلام آزاد. يحتوى هذا الكتاب على ترجمة وشرح ثمانية عشر

(١) مجلة ”جامعة“ ابريل عام ١٩٨٨ ص ١٥-١٦

(٢) ثقافة الهند عدد خاص ١٩٨٨ م ص ٣-٤

(٣) انظر: انوار أبى الكلام . مرتب على جواد زيدى ص

مجلداً من الأجزاء الثلاثين للقرآن الحكيم في اللغة الأوردية . يضم هذا الشرح للقرآن الكريم بين طياته لون الحديث النبوي الشريف والسنة المطهرة ويصطبغ بصيغتها بصورة داكنة ويمثل مذهب الامام ابن تيمية والعلامة ابن القيم رحمهما الله - في التفسير . هذا من جهة ، ومن جهة ثانية توجد في الكتاب لذة التصوف الاسلامي والمعرفة الالهية أيضاً والتي امتاز بها شيخ العارفين محي الدين ابن العربي - ويصرف النظر عن ذلك فان أسلوب الكتاب يعتبر أسلوباً معجزاً في آداب اللغة الأوردية ، وقد استدل الشيخ آزاد بالاكشافات العلمية الجديدة في تقديم حلول للمعضلات الفكرية والعقلية فمؤلفه "ترجمان القرآن" لا يمثل الأدب القرآني الممتاز في اللغة الأوردية العلمية الفصيحة فحسب ولكنه بمثابة كشكول نفيس للعلوم القرآنية و علوم التفسير لم يضع الشيخ آزاد كتابه هذا حول معاني القرآن وشرحه مجرد الشرح والتفسير ولكنه قدم القرآن في هذا الكتاب كرسالة تامة للهداية والسعادة والمجد والرفق. (١)

ولقد بين مولانا آزاد حقائق القرآن الكريم ومعانيه بنفس الاسلوب والنمط الذين يمتاز بهما القرآن وهو أسلوبه البياني والخطابي - فقد قال مولانا آزاد بنفسه ملقياً الضوء على خصائص "ترجمان القرآن" . فيقول :

"لا بد لمن يدرس كتاب "ترجمان القرآن" أن لا ينسى أن خصائصه الأساسية تكمن في ترجمة النص القرآني وفي الاسلوب الذي اخترناه في الترجمة ، يستطيع القارئ أن يطلع على جميع المبادئ والأصول التي وضعت لعلوم القرآن ودقائق معانيه من جديد، يمكن عن البحث عن جميعها في ذلك الموضوع من أسلوب الترجمة . وهذه هي الخزانة التي دفنت فيها كافة خصائص الكتاب - والميزة الثانية لترجمان القرآن هي هامشه الذي يتناول الموضوع بالشرح

(١) انظر ثقافة الهند عدد خاص ١٩٨٨ م ص ٢٤٠

والبحث، فإن كل سطر من سطور هذا الهامش ينوب عن صفحة كاملة بل وأحيانا مقابل حول الشرح والتفسير ففي كثير من الاحوال كان سجل كامل من المعاني والمباحث منتشرا في العقل والذهن ولكن إذا تناوله يراع الكاتب أصبحت هذه المعاني المتشيرة في سجل كامل لعقله، أصبحت سطرًا أو جملة أو فقرة“ (١).

وقال مالك رام ثناء ا على هذا الترجمان فيقول:

” هناك كثير من التراجم والتفاسير باللغة الاردية، ألقيت النظر على عشرات منها ولكن لطافة اللغة وعذوبة البيان ورشاقة الاسلوب وصحة الأداء التي نراها في ”ترجمان القرآن“ لم نرها في أي من التراجم والتفاسير المتواجدة لامن قبل ولا من بعد“ (٢).

وهذا لا يمكن إلا إذا كان المترجم أو المفسر لديه قدرة كاملة على كلتا اللغتين، العربية والأردية، ويرتفع ذوقه الأدبي إلى حد لا يراعى المعاني فحسب بل يتعرف مواقع الاستعمال وطبيعة اللغة الأردنية أيضا. كانت اللغة العربية لغة أم لأبي الكلام آزاد وقد تمكن عظمي اللغة الأردنية بالمطالعة والممارسة الذاتية. وفوق كل ذلك قد وهبه الله طبيعة ساذجة، وأودعه ذوقا سليما للشعر والأدب، فهذه كلها جعلت ترجمان القرآن عملا جادا خالدا حيا. (٣)

وقد تكلم السيد خليق أحمد نظامي عن ميزات ترجمان القرآن فيقول:

إن ”ترجمان القرآن“ لمولانا آزاد إضافة قيمة على المآثر التفسيرية. وله ميزتان لامعتان.

أولا: إن جميع المآثر التفسيرية المتواجدة آنذاك كانت معظمها في أعين آزاد وله نظرية بالغة في المتطلبات العصرية والفكرية والحاجات الاجتماعية.

(١) ترجمان القرآن: دراسة تحليلية. مولانا اخلاق حسين قاسمي. ص. ٥٠.

(٢) عن أبي الكلام آزاد: مالك رام. ص. ٦٧.

(٣) المصدر السابق:

لم يخدم علم الكلام فى التاريخ الاسلامى إلا العلماء الذين كانوا واقفين بما مضى ومطلعين على أوضاع عصره ومقتضياته، و "ترجمان القرآن" هذا، مرآة صادقة لنظر آزاد المحقق وفكره العميق وبصره المجتهد، قد رشفت المآثر التفسيرية القديمة من خلال هذا الترجمان طبقا لحاجات العصر الراهن من حيث أنه لا يرى قديما". (١)

ثانيا: كأن هذا الترجمان دراسة لعالم الديانات، فقد عرض العناصر الفكرية والاعتقادية للمذاهب الأخرى فى ضوء التحقيق والتدقيق ولن تجد فى اي مكان فيه أثرا ضئيلا للعصبية الدينية" (٢)

قد تكلم السيد غلام ربانى تابان عن ميزات "ترجمان القرآن" فيقول:
"إن من أهم ميزات ترجمان القرآن أنه قد تكلم بالتفصيل حول فكرة وحدة الأديان، فيقول مولانا آزاد: إن القرآن يفرق بين الدين والشرع كأنه يرى أن القرآن يعلن وحدة أديان جميع الأقسام، وعلى صعيد آخر، يرى المناهج والشرائع فى الأنواع المختلفة بنظر الاستحسان، هكذا قدحاول مولانا آزاد أن يجمع الخلافات على أساس الديانة. فيعتبر عمله هذا "ترجمان القرآن" عملا عظيما حيث أنه لم يسلك منهج القدماء فى التفسير بل تنحى عن طرق التفسير السائدة، وقدم تعليمات القرآن فى ضوء فهمه وإدراكه بدلا عن سرد الروايات والاستطراد". (٣)
قد كتب مولانا أختر تلهرى مقالا طويلا عن تفسير آزاد، "ترجمان القول" يبرهن أهمية هذا الكتاب وبين مكانته العلمية من بين المعاصرين. فأذكر هنا ملخص ما قال: "كان مولانا آزاد شغوفا بمطالعة القرآن الكريم وقد وهبه الله قدرة

(١) فكرونظر، آزاد نمبر: ١٩٨٩م ص. ٣٠.

(٢) المصدر السابق: ص. ٣١.

(٣) مولانا ابوالكلام آزاد: غلام ربانى تابان. ص. ١٤.

سليمة وأودعه عقلا بالغا وفكرة راسخة وزهنا ثاقبا. وكانت هناك خزانة التفسير والتراجم من القديم والحديث بين يديه' فقد حل هذه التراجم والتفسير بنظرة غائرة وقد تعرف النقائص التي دخلت في هذه التفسير لأجل المؤثرات المختلفة. فقد لاحظ هذه كلها وبدأ يترجم القرآن الكريم بأسلوب رشيق جذاب.

وقد كتب الحواشي بالاختصار حينما وبالتفصيل حينما آخر حسب الحاجة وكلما نبع من قلمه الجواد من حسن الصياغة ورشاقة البيان' جدير بأن يوضع على الرأس والعين' فقد فتح بهذا آفاقا جديدة للفكر والنظر' وتوسعت البصائر في مجال المذاهب والديانات قد طهر آزاد روضة الاسلام من الاوهام والخزعبلات التي تسببت إلى الروايات والقصاص في حيز الدين التي لأساس لها في التاريخ القديم' وكذا قد حل جميع المحاكاة المزعومة التي حاكها المفسرون المعروفون بالفلسفة اليونانية' بياناته الشافية ودلائله المستحكمة' هذه هي ميزة آزاد التفسيرية التي لم نجد له فيها ندا ولا شريكا"^(١) وأيضا يقول:

”إن صياغة هذا التفسير لمولانا آزاد هي صياغة جديدة فإنه لا يخوض في مسائل لاعلاقة لها بسياق الكلام' ولا يزيد حجم كتابه بالتقولات والأساطير بدون جدوى. بل أنه يعالج المسائل المرحمة والمباحث اللازمة في فهم القرآن. وحينما يعالج فيوفى، بحقا حتى يصل إلى نتيجة مثمرة بدون ريب ولا تذبذب. ففي هذه الغاية السامية نرى أن وسعة مطالعته وذكاء ذهنه وقوة ذاكرته' وملكته الساحرة على بيان المفاهيم وإظهار المطالب' جعلته وحيد عصره وفريد دهره' فقد نال مكانة مرموقة في هذا الصدد **ﷺ** بين المعاصرين"^(٢)

كانت هناك مئات من التفسير باللغة العربية والأردية وكذا الفارسية' وصبغتها العامة هي أن المفسر ينقل أقوال المفسرين القدامى في شرح الآيات

(١) أبو الكلام آزاد: عرش ملسيان: ص: ١٠٦

(٢) انظر: المصنف السابق: ص: ١٠٧

وتوضيحها أو فى استنباط المسائل واستخراج الأحكام، ويأتى بالدليل لكل قول، وهذا الطريق فى التفسير نافع بدون شك لأرباب الحل والعقد ولكن يشوش أذهان القراء العاديين، فهم يضطربون من خلال تلك الأقاويل، وعلى صعيد آخر كل مفسر يحاول أن يفسر الآية الكريمة فى ضوء المذهب الذى ينزوى إليه ويرد المذاهب الأخرى على ذلك الأساس، فقد أدى هذا الطريق إلى فتح ابواب التأويل والتوجيه تفقد فيها عموم القرآن وجامعيتها وتنحصر دروسه وتعاليمه فى حدود ضيقة. (١)

ولكن من كمال "آزاد" أنه خالف هذه الطريقة السائدة واختار له أسلوباً جديداً يتمشى مع عموم القرآن وجامعه، فقد يعين مفهوم الآية بعد فكر عميق فى ضوء طبيعة اللغة العربية وأساليبها وأقوال الصحابة وشرح المفسرين القدامى وتوضيحهم. ثم يبين ذلك المفهوم بكمال القوة وبلاغة الأسلوب حتى ينشرح صدر القارئ لحقائق القرآن ومطالبه ولا يختلج فى صدره أى اضطراب ولا تشويش..

ومن كماله أيضاً أن تفسيره يتمشى مع طبيعة القرآن وسذاجة أسلوبه اعتباراً من أنها هى ميزة لامعة لبيان القرآن وأسلوبه، فلا ينحط هذا التفسير إلى الوضعية كما نراها - على حد قول آزاد (٢) - فى تفاسير القدامى، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أنه إذا احتاج إلى طريقة الاستدلال العلمى لإظهار الحقيقة التاريخية فى القرآن، فيوفى بحق التحقيق والتدقيق. كما نرى فى تحقيق ذى القرنين، فيختلف فيه المفسرون قديماً وحديثاً وقيل فيه أقوال كثيرة لا طائل تحته، ولكن آزاد قد أثبت بعد جهد جهيد وسعى سديد فى كشف جديد طبقاً لبيانات القرآن المجيد أنه هو الملك إيران العظيم المسمى بـ "كيخسرو". فقد لعب مولانا 'آزاد' دور المؤرخ الماهر العظيم فى هذا البحث والتحقيق. وأعترف العلماء والمفسرون بعده بهذه الحقيقة

(١) انظر مقالة السيد أحمد سعيد أكبر آبادى. إيوان أردو، عدد خاص ديسمبر ١٩٨٨م ص. ١٩٦

(٢) انظر ترجمان القرآن: ج/ ١ ص. ٣٣، ٣٤

التاريخية، ونقلها كثير منهم في كتاباتهم ومقالاتهم حتى في تفاسيرهم. (١)
فمثلا مولانا حفظ الرحمن في "قصص القرآن" (٤٤٢) مولانا مودودي في
"تفهيم القرآن" (٢٥١) مفتي محمد شفيع في "معارف القرآن" (٢٧٢) ومولانا
أمين أحسن الإصلاحى في "تدبر قرآن" (٤١٩٨٠) كلهم اعترفوا بهذا التحقيق لأبى
الكلام آزاد ولكنهم لم يذكروا المرجع إليه. (٢). سنذكر هذا الجانب بقدر من
التفصيل فى الفصل الرابع.

على كل حال إن تفسير سورة الفاتحة أيضا مرقعة من جواهر الأدب وروعة
البيان. فقد أفاض قلمه فى الكلام عن ذات الله وصفاته تعالى. وأحاط جميع
جوانبها بالجدية والابتكار بحيث أنها تلمس الفطرة الانسانية ووجدانها. حتى أنها
تؤثر طلبة الفلسفة وعلماءها (٣) حتى قيل فى تفسير سورة الفاتحة أن مولانا آزاد
لوما كتب إلا تفسير سورة الفاتحة فقط 'لكان مستحقا بان يكون مفسرا وحيد
العصر'. (٤).

فى الحقيقة إن "ترجمان القرآن" قد حل بأرفع ^دالمقام ووصل إلى ارقى
المنازل وأعلاها من بين جميع الكتب التى كتبها مولانا آزاد: وهو أهم وأعظم عمل
قام به آزاد طوال حياته رغم الانتهاكات والاضطرابات وكذا النشاطات المكثفة
وهو نبع عظيم ينهل منه العالم العارف والقارئ العادى على حد سواء تفيض منه
أنهار العلم والتحقيق وجداول البحث والتدقيق. وهى روضة معطرة تتفتح جميع

(١) انظر: ترجمان القرآن ايك تحقيقى مطالعة: مولانا اخلاق حيسن قاسمى. ص ٢٤

(٢) المصدر السابق:

(٣) انظر: ايوان أردو: عدد خاص. ديسمبر ١٩٨٨ م ص. ١٩٧.

(٤) انظر: مولانا آزاد. عرش ملسياني. ص. ١٠٧.

أزهارها بألوان بهيجة مختلفة ذات أنواع عديدة، من حسن الأدب والإنشاء، وروعة
البيان والأسلوب، وبدعة الأداء والإبتكار، تنتشر عطورها على كواهل النسيم إلى
جميع أوساط العلم والأدب، تتكسب من فيوضها وبركاتها، وتعتز بهذا المفخر
العظيم والمأثر الجليل الخالد الحي...

الفصل الثالث

السيرة السيرة أحمد خانا

و

مولانا آزارو

لما نظرنا في الحركات الإصلاحية في الهند في القرن التاسع عشر و مطلع القرن العشرين وجدنا اسماً نعتبره أعظم اسم في هذا الصدد وهو السير السيد أحمد خان (١٨١٧ - ١٨٩٨) وهو رجل معترف بمكانته الرفيعة بالخصوص في حركة الإصلاح الديني لأبناء الوطن المسلمين . وكان مثقفاً بكلتا الثقافتين الشرقية والغربية. قد برع في العلوم الدينية والفلسفة الإسلامية كما أنه تسلم بالعلوم الغربية على حد الكمال. فقد دعا دعوته الى الإصلاح الديني على هذا الغرار ، قد ذكرت في الصفحات الماضية حالة المسلمين حينذاك حيث أنهم كانوا في حالة الاحتضار، قد تفككت شئونهم الاجتماعية ، وتجمدت بصيرتهم الدينية وتورطت حالتهم السياسية حتى أصبحوا غثاء كغثاء السيل .

نظر السيد أحمد خان هذه الحالة السيئة المؤلمة للمسلمين، فشا فيهم الفقر والجهل والبؤس والقلق، ومن تعلم منهم فتعلم ديني عقيم لا يفتح نظراً ولا يبعث حياة، وهم خاضعون لرجال دين لا يفهمون من الدين إلا رسمه، يريدون أن يخضعوا المدنية الواسعة لعقليتهم الضعيفة ، ولا يعترفون بتغير زمان وتلون حياة وتقدم علم (١). وكانت هناك مدارس رسمية غير المدارس العربية ولكن حرم العلماء على المسلمين أن يرسلوا أبناءهم اليها . والهندوس يرسلون أبناءهم الى هذه المدارس فيتثقفون ويصلحون للحياة ويشغلون المناصب الحكومية، والمسلمون بمعزل عن الوظائف الحكومية - فكانت المدارس التبشيرية والمدارس الحكومية مملوءة بالنصارى والوثنيين - وفيها قليل نادر من المسلمين - وكانت نتيجة هذا أن أعمال الحكومة المتنوعة - وخصوصاً المناصب الكبرى منها - أصبحت وليس في

(١) زعماء الإصلاح في العصر الحديث: أحمد أمين ص ١٢٥

يد المسلمين منها إلا ما ندر^(١).

هذه هي حالة المسلمين في الهند قام السيد أحمد خان برصلاح حالهم .
وبدل مجهورات جبارة في دعوة الاصلاح الديني ... وكان من أهم ميادين الاصلاح
هو ميدان التعليم والتربية . فقد كافح أشد الكفاح ضد الجهل والتعلم الديني العقيم
.وحاول أن يخرج أبناء المسلمين من حدود ضيق العقل الى نطاق واسع .وقال
بصراحة أن علة هذا الجهل السائد وضيق العقل والفقر وسوء الحال ، هي التربية
ويقول أيضاً : ما حدثت الحوادث الأليمة التي حدثت سنة ١٨٥٧م - إلا إن الجهل
سبب لكل شر .^(٢) وقد دعا لهذه الغاية النبيلة الى ضرورة إنشاء مؤسسة علمية
اسلامية يتلقى فيها أبناء المسلمين التعليم الحديث مع تعاليم دينهم في جو مأمون
موثوق به ، حتى يستطيع أبناء المسلمين أن يعرفوا من معين الثقافة الغربية
ويشاركوا في نهضة البلاد مع زملائهم الهندوس^(٣). وقد كافح العقبات والعوائق في
هذا السبيل حتى حقق هذا التعبير و فاز بإنشاء كلية عليكرة المشهورة وأصبحت
هذه الكلية جامعة فيما بعد وعرفت باسم جامعة عليكرة الاسلامية وقد حدد لها
أغراضاً ثلاثة وهي .

١ . أن تعلم المسلمين الثقافة الغربية الشرقية في غير تعصب و لا جمود .
٢ . أن يعنى فيها بحياة الطلبة الاجتماعية ، فيجدوا فيها سكنا يقيهم شروء المدن
ومفاسدها ، فيطمئن الآباء حين يرسلون أبناء هم إليها إلى أنهم في بيئة صالحة
لخالقهم ، مرقية لأادابهم .

٣ . أن يعنى في نظام الكلية بترقية العقل و تربية البدن و تهذيب الخلق معا^٤ و بعبارة

(١) زعماء الاصلاح في العصر الحديث : أحمد أمين ص ١٢٥

(٢) المصدر السابق ، ص ١٢٧

(٣) كفاح المسلمين في تحرير الهند د/عبدالمعتم النمر ص ٤٣

أخرى يكون الغرض منها "التربية" لا التعليم فقط... (١)

بعد أن تم هذا العمل الهام أنشأ مجلة دورية سماها "تهذيب الأخلاق" عالج فيها المشاكل الاجتماعية والدينية في جراءة وصراحة وأخذ يفسر القرآن ويدعو إلى أن القرآن - إذا فهم فهماً صحيحاً - اتفق مع العقل، وأن النظر الصحيح فيه يوجب الإعتماد على روحه، أكثر من الإعتماد على حرفيته، وأنه يجب أن يفسر على ضوء العقل والضمير.

وهذه هي نقطة الإنطلاق لمخالفة آزاد وتكرهه عن بعض نظريات هذا الرجل المصلح الديني العظيم حيث أنه قد فسر كثيراً من الآيات القرآنية بمجرد العقل والضمير وأنكر الحقائق الثابتة - وأتهم لأجلها بإفساد العقل والدين. سنذكر هذا الجانب بالتفصيل فيما بعد...

تأثر آزاد بفكرة السيد أحمد خان وكتاباتهِ :
ممن تأثر بهم آزاد في حياته' على رأسهم السيد أحمد خان . ولا نبالغ إذا قلنا إنه قد أكمل المهمة العظيمة التي قام بها السير السيد أحمد خان ، بعد تعديل لازم وتنسيق مناسب ، قد تأثر به أولاً لعقيدته وأفكاره الدينية - كما عرفنا سابقاً أنه كان حائراً من الجو الذي نشأ فيه ، وكان مزعجاً شديد الانزعاج من تلك العقيدة الموروثة والتقليد الأعمى التي ورثها إياه أسرته.. فقد أنكر جميع العقائد والأفكار التي كانت هي صميم العقائد الإسلامية في نظرة أسرته - وأخذ يبحث عن حقيقة العقيدة وبنية الإسلام وأصوله... وكما عرفنا أيضاً كان رجلاً عبقرياً فلم يقل أي شيء بمجرد سماعه وانتمائه إلى عقيدة أسرته... بل يحلل ويوازن على مقياس العقل والاجتهاد ثم لم يقبل إلا إذا شرح صدره عليه... وقد ذكر أبو الكلام آزاد اجتهاده وفكرته الحرة تجاه الدين والعقيدة. فيقول:

(١) زعماء الإصلاح في العصر الحديث: أحمد أمين ص ١٣٠

أنا مسلم بالطبع ، ولكنك تتحير إذا سمعت أن العقيدة التي ورثتها من الأسرة لم أقتنع عليها ، وسرعان ما انفصلت عن هذه العقيدة الموروثة حينما استطعت على انفصالها - وخرجت طالباً جاهداً ، مجدأً باحثاً ، خالي الذهن والقلب وقد عبرت كثيراً من العوائق و العقبات في هذا الطلب حتى وصلت الى الهدف المنشود - لا شك أن هذا المقام الذي وصلت اليه هو 'الاسلام' لكن ليس ذلك الاسلام الذي ورثته من التقليد الأعمى ، بل هذا هو الاسلام الذي حصلت عليه بعد الطلب والبحث عنه .. (١)

وقد قرع كل باب رأى فيه ومضة الرجاء وشعاع الحقيقة حتى خطا نحو دهليز السير السيد أحمد خان ، وقرع بابه أيضاً ووجد هناك شيئاً كثيراً من طمانيئة القلب واستراحة البال ، فقد حل حزامه الى بابه وكأنه لازم ظله الى حد التقليد - فقد تأثر بأفكاره الاجتهادية ونظرياته الراقية . واعترف مولانا آزاد بهذا التأثير الشديد بأفكار السيد أحمد خان في عدة مواضع ، فيقول في موضع:

”قد حصلت بعض مقالات السير السيد أحمد خان فمثلاً 'مجموعة المحاضرات' و'محاضرة على الاسلام' ثم تشوقت بعدها الى قراءة مصنفاته الأخرى ، وكان هو الأساس للتبدل الفكري في حياتي“ .

ثم حصلت على المجلد الأول لتفسير القرآن الذي طبع من بنجاب ، وكذا حصلت على جميع كتاباته تدريجياً ، حتى اشتريت كل صفحة من جميع الكتابات بكل جهد جهيد . (٢)

ويقول ايضا: قد استقرأت جميع مصنفاته وكتاباته في بضعة أشهر. وإذا استشعرت كآني في عالم عجيب مدهش' رفيع المقام عظيم المنال“ .
ويقول في موضع آخر:

(١) ذكر آزاد: مولانا مليح آبادي ص ٢٥٠

(٢) آزاد كي كهاني : مولانا آزاد ص ٢٥٢

”كأنني كنت أعبد السير سيد أحمد خان مثل عبادة الأصنام‘ قد رسخت عظمته في أعماق قلبي. وكان وجوده قذوة كاملة في نفسي للفضيلة الانسانية ومكارمها. كثيرا ما تحسرت” يا ليتني كنت معه“- كنت أتمنى لو كان موجودا لتركت جميع العلائق والمشاكل واناغفل واناطلقت إليه وأعبده على كل حال“(١)

هذه المبارات المذكور أعلاها تدل إلى تشوقه وتأثره الشديد بالسير السيد أحمد خان ولكن لم تدم هذه الحالة طويلا بل وقفت بعد زمن قصير حينما بدا له أن الطريقة التي سلكها السيد أحمد خان تدل إلى الإلحاد لا إلى الاسلام‘ فكان مولانا آزاد يوافق ويتأثر بنظريات السيد أحمد خان التقدمية والجهاد ضد التقليد الأعمى. ولكنه حينما ينكر المسلمات الحقيقية طبقا لاجتهاده المغالي فقد تحدى عنه آزاد قائلا هذا فراق بيني وبينك“.

القدر المشترك فيما بينهما:

كما عرفنا أن أبا الكلام آزاد تربي في حضن دين عقيم وأحاطت به العقيدة الموروثة ومأمور بالانقياد لهذا التقليد الأعمى ولكنه لم يقتنع بها وخالف أشد المخالفة واختار لنفسه طريق الفكر والاجتهاد وقيل الدين والعقيدة على وجه البصيرة. هكذا كان الحال للسير السيد أحمد خان‘ هو أيضا نشأ نشأته الأولى في حضن الدين العقيم. ولم يقبل التقليد الأعمى وترك الديانة التي ورثها من الأسرة. بل فتح لنفسه آفاقا جديدة للفكر والاجتهاد واختار لنفسه مسلكا جديدا إلا انه قد بالغ في هذا الاجتهاد وتجاوز جميع الحدود والقيود حتى لقي هجمات عنيفة في هذا الصدد. (٢) بخلاف أبي الكلام آزاد‘ أنه لم يستغن أبدا عن حقيقة روح الاسلام ولم يفسر القرآن والاسلام بمجرد العقل والضمير.

١٠٦

(١) المصدر السابق: ص. ٢٨٣.

(٢) مولانا ابوالكلام آزاد: شخصيت اور كارنامي. خلیق انجم ص. ٢٤١

ومع كون هذا الاختلاف الأساسي نرى ذلك الطموح أو الذوق لطلب الحقيقة الذي تكسبه من فيضان السير السيد أحمد خان' ينير سبله في كل لحظة. ونرى ومضاته ورشحاته في "ترجمان القرآن" وكثيرا ما تتشابه طريقة استدلاله بطريقة السير السيد أحمد خان - قد فسر السيد أحمد خان في كثير من الأحيان في تفسيره بكل شرح وبسط' إلا أنه قد تجاوز عن الحقيقة لوفور التحقيق وشدة التطبيق فقد فسر ابوالكلام آزاد أيضا الآيات القرآنية وأفاض سبل البحث و التحقيق إن دعت الحاجة إليه... ولهذا يعتبر تفسيره "ترجمان القرآن" موسوعة للعلوم الاسلامية.(١)

بصرف النظر عن المذهب والديانة رأينا بعض الاقدار المشتركة فيما بينهما في مجال الصحافة. فقد زود السير السيد أحمد خان الأردى بالافكار الجديدة والموضوعات الجديدة' وقد عرّف النثر الأردى بأسلوب جديد يتميز بالمقصدية والغاية النبيلة. وعلى شاكلة نعتير أبالكلام آزاد موجدا أسلوب جديد في النثر الأردى. فكما أن أسلوبه الرصين الجذاب الملتبب النارى يُلب شعور القارئين ويحرك العاطفة والوجدان' يؤثر هكذا أسلوب السير السيد أحمد خان اللطيف الناعم السليس.. فانظر "تهذيب الاخلاق" في جنب "الرهلال والبلاغ" ترى هذا القدر المشترك فيما بينهما مع كون اختلاف مبناهما..

والامر الثاني الذي نرى فيه التوافق بينهما هي نظرية الاتحاد بين الهندوس والمسلم. وكانت عقيدة السير السيد هي ان الهندوس والمسلم اذا لم يخلقا جو المودة والأخوة والاتحاد الدائم والاعتماد فيما بينهما. لن يكللا بالجناح الحقيقي. ولن تتمك الدولة على القوة والسيطرة. ولهذا قد درس المواطنين بأن يكونوا متحابين متعاضدين. وهكذا نرى أبالكلام آزاد أنه أوقف حياته لهذا الاتحاد بين

(١)مولانا آزاد: خلیق النجم. ص. ٢٤٦

الهندوس والمسلمين. وعمل لترقية الاتحاد القومي في الهند. كأنه أخذ هذا الدرس للاتحاد القومي من مرشده السيد أحمد خان. (١)

نقطة الانطلاق :

كهنده الاقدار المشتركة فيما بينهما يؤرى أن أبا الكلام آزاد لن يخالف مرشده في اى حالاً من الاحوال لكن الأمر على العكس تماما' فكان رجلا وقاد القريحة صاحب الفكر الحر والاجتهاد فلم يقبل كل رطب ويابس من رقل السير السيد أحمد خان.. وبدأ يخالفه حينما رأى أن الطريقة التى سلكها السير السيد تدل إلى الكفر والانحراف عن الدين والاسلام. وكان يقرّ آزاد مساعى السير السيد فى مجال التعليم والتربية والاجتهاد و ضد الجبل والتقليد الاعمى والدعوة إلى تجديد الدين العقيم وإلى الفكر الحر والاجتهاد. ولكنه مع ذلك يخالفه أشد المخالفة حينما بدأ يفسر الآيات القرآنية بمجرد العقل والضمير. أنكر كثيرا من الحقائق الثابتة والمسلّمات الحقيقية^٤ التى تسببت إلى ضجة عنيفة بين اوساط العلماء واتهم بإفساد العقل والدين وأفتى عليه بالكفر والزندقة.

والشئ الثانى ' حينما كان العلماء بالخصوص والمواطنون على العموم يكافحون ضد الاستعمار البريطانى ويدعون إلى ترك الموالاة للحكومة البريطانية' كان السيد أحمد خان يدعو المواطنين إلى عدم المشاركة فى الحركة الاستقلالية. ويمد يد المعونة للحكومة البريطانية ويعلم بقوله:

”إن العافية للمسلمين بالخصوص ومواطنى الهند على العموم فى أن يقضوا حياتهم فى ظل الحكومة البريطانية خاضعين طائعين' ولم أن يفهموا أن تعليم الاسلام هو أن تكونوا وفتين صادقين لمن كنتم رعيتم ومستأمنهم. ولا أن يجعلوا فى قلوبهم غلا ولاضعفية تجاههم. ولأن يشاركوا مع الحاقدين. وأن يعتبروهم

(١) المصدر السابق: ص. ٢٥١

ملكاً في الدنيا. والله سبحانه وتعالى هو ملك الملوك“ (١).

فقد أثارت ضجة شديدة وهاجم العلماء هجوما عنيفا ضد هذه النظرية الخاطئة وعلى رأسهم مولانا آزاد. فقد هاجم عليه في المقالات والكتابات والخطبات. ونبه المواطنين والمسلمين بالخصوص بهذه النظرية الخطيرة وعواقبها الوخيمة..

الأفكار الخاطئة للسيد السيد أحمد خان:

إن بعض عقائد السيد أحمد الدينية التي تخالف صميم العقائد الإسلامية والتي يواجه السيد أحمد خان من أجلها إفتاء الكفر والالحاد والزندقة، أذكرها هنا بالاختصار حتى تتبين صورته الحقيقية في العقائد الإسلامية التي اتخذها بمجرد العقل والضمير والاجتهاد. ومن أهم تلك العقائد الباطلة والأفكار الخاطئة هي كما يلي:

- ١- إن كلمة ”الشيطان و إبليس“ في القرآن الكريم لم يعن بها أى شئ في الوجود بل المراد بها هي خصائص الانسان بذاته وقوته البهيمية.
- ٢- إن الطيور المذبوحة على الطريقة النصرانية - حيث أنهم يذبحونها بخنق أعناقها - يحل أكلها للمسلمين.
- ٣- إن الإسراء للنبي ﷺ ومعراجه كانتا في المنام، فليس لهذا الواقع حقيقة إلا الرؤيا فقط.
- ٤- لم يثبت أى معجزة للنبي ﷺ من القرآن الكريم:
- ٥- معجزة شق القمر، أيضا لا أساس لها في الحقيقة. إنها وقعت في المنام.
- ٦- إن رفع عيسى عليه الصلاة والتسليم حيا لم يثبت من القرآن الكريم.

(١) مولانا آزاد، شخصيت اور كارنامى: خليك انجم. ص ٢٥٧

- ٧- وكذا لم يثبت من القرآن الكريم إلقاء إبراهيم في النار.
- ٨- إن الحشر والنشر يوم القيامة ومجازاة العمل كلها مجاز، لاحقيقة لها.
- ٩- ذكر الجنة والنار مجاز. لاحقيقة له - ذكرت للتمثيل وتقريب الذهن فقط.
- ١٠- لا يمكن رؤية البارئ تعالى لا في الدنيا ولا في الآخرة. لانستطيع أن نراه بهذه البصارة ولاندركه بالبصيرة ايضا.
- ١١- لاحقيقة لوجود الأجنة. لا يثبت من القرآن الكريم.
- ١٢- نفخ الصور قبل القيامة ذكر في القرآن الكريم للتمثيل فقط. (١)
- هذه بعض الأمثلة من عقائده الباطلة، قد أسسها السيد أحمد خان على إنكار المسلمات الحقيقية وهي تخالف روح الاسلام.
- وأنا أقول بالصراحة أن هذه العقائد المذكورة كلها مخالفة للآيات القرآنية. نجد شواهد براءة في ثبوت هذه المسلمات التي أنكرها السيد أحمد خان. فمثلا: قد أنكر وجود إبليس . وقد ذكر القرآن وجوده و صرح أنه كان من الجن فيقول: ”وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس، كان من الجن ففسق عن أمر ربه“ (٢)
- وقد أنكر الاسراء أو المعراج بكونها في اليقظة والشواهد تدل أنها وقعت في اليقظة. بقوله تعالى: سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى“ . (٣)
- وهناك كثير من الأحاديث النبوية تثبت أنها وقعت في اليقظة بالروح والجسد. ولو وقعت هذه الواقعة في المنام لما كانت لهذه الواقعة اهمية تذكر، لكن ذكرت هذه الواقعة بكل عناية وتقدير. وأعطيت سورة كاملة بهذا الاسم.
- وقد أنكر السيد أحمد خان معجزة شق القمر، وقد تصرح الآية القرآنية:

(١) مولانا آزاد، خليف انجم: ص. ٢٤٤

(٢) سورة الكهف: آية رقم: ٥٠

(٣) سورة الاسراء: ٥٠

”اقتربت الساعة وانشق القمر“ وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر
”مستمر“ (١) لوما كانت هذه معجزة فما معنى هذا الكلام.

وقد أنكر رفع عيسى عليه السلام، والقرآن يصرح بقوله:
”وإن قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين
كفروا“ (٢).

وقد أنكر وجود الأجنة، والقرآن يثبت وجوده وأعطى سورة كاملة بهذا الاسم.
”قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا“ (٣)
هكذا قد أنكر وجود الجنة والنار ونفخ الصور قبل القيامة والحشر والنشر،
والحال أن لا تخلوا أى سورة من سور القرآن من ذكرها تقريبا“
فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة“ وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة.
فيومئذ وقعت الواقعة. (٤) ”يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم إلى نصب
يوفضون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة. ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون“ (٥)
”يومئذ يصدر الناس أشتاتا“ ليروا أعمالهم، فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره“
ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره“ (٦)

أما تثبت هذه الشواهد القرآنية تلك المسلمات الحقة التى أنكرها السير
السيد أحمد خان، كان عقلانيا بحتا، حاول أن يوازن هذه الحقائق الثابتة على
مقاييس العقل والضمير ولم يستطع - ولن يستطيع العقل الانسانى الدانى على

(١) سورة القمر: رقم الآية: ٤١

(٢) سورة آل عمران: رقم الآية: ٥٥

(٣) سورة الجن: رقم الآية: ١

(٤) سورة الحاقة: رقم الآية: ١٣، ١٤، ١٥

(٥) سورة المعارج: رقم الآية: ٤٣، ٤٤

(٦) سورة الزلزال: رقم الآية: ٦، ٧، ٨

ادراك هذه الحقائق كما هي.. فقد أنكرها على أساس العقل والاجتهاد..
فلهذا لم يقبل العلماء وكذا عامة الناس وكل من له أدنى علاقة بالاسلام، هذه
الأفكار الباطلة والعقيدة الخاطئة. فاتهم السيد أحمد خان بالكفر والالحاد
والانحراف عن الدين. حتى أن مولانا اباالكلام آزاد، (ولو كان مؤسساً للاجتهاد
والتفهم الجديد للإسلام، لم يستطع أن يقبل هذه النظرية الباطلة للسيد
أحمد خان وتنحى عنه واختار لنفسه طريقاً يهdy إلى الهداية لا الغواية...

سكوتية

الفصل الرابع

فهم

أبى الكلام أزاله اللغات القرآنية

شغفه بالقرآن الكريم:

كان ابوالكلام آزاد شغوفاً بمطالعة القرآن الكريم. قد قضى ربيع حياته فى تدبر الآيات القرآنية وتفكيرها. حيث قال هو بنفسه:

”لقد مضى على سبع وعشرون عاماً بالتمام‘ والقرآن كان موضوع مطالعتى ودراستى ليلى ونهاراً^(١) وذهب بى الفحص والتفكير وراء سور القرآن وآياتها بل وكلماتها إلى أبعد حدود وأوسع نواحيه‘ فدقق فكرى سورة سورة. وحقق نظرى آية آية. ونقبت دراستى لفظاً لفظاً. ولى أن أقول أننى قد قرأت من كل ما يوجد من الكتب والتفاسير خطية كانت أم مطبوعة. أكثرها ما تفتنى ناحية من نواحي علوم القرآن‘ وإذا كانوا قد قالوا أن فى العلم قديماً وحديثاً‘ فإننى لم أقف عند واحد منهما‘ فالقديم قد ورثته. وأما الجديد فقد فلقتة بعصاى وجعلت لنفسى إليه سبيلاً فهو عندى كالقديم علماً وخبرة“^(١)

فلأجل هذا الشغف الشديد وحبه البالغ لدراسة القرآن الكريم وعلومه وتفكيره فيها‘ نرى اعتداله الفكرى فى فهم الآيات القرآنية وتفهمها - ولم نجده مغالياً فى الاجتهاد إلى حد الانحراف عن عقيدة السلف الصالح ولم نجده يفسر الآيات القرآنية لمجرد العقل والضمير كما كان السير السيد أحمد خان.. بل مع كونه مجتهداً - لم يتجاوز عن حد الاعتدال فى تفسير الآيات الكريمة - كثيراً ما نرى أنه كان يسلك طريقة شاه ولى الله المحدث الدهلوى فى تعيين مفهوم الآية الكريمة‘ وكذا ابنه شاه عبد القادر كما نرى فى معنى ”الدين والاسلام“^(٢).

فهم الآيات القرآنية:

كان ”ترجمان القرآن“ أول من نال مكانة مرموقة فى تفسير بعض الصفات

(١) ترجمان القرآن: ج ١ / ص ٤٧

(٢) انظر ترجمان القرآن ‘ ايك تحقيقى مطالعه: اخلاق حسين قاسمى ‘ ص ١٤٣

الإلهية مثل الصفة الربوبية والرحمة والعدل - وكما عرفنا أنه أعطى مجلدا كاملا لتفسير سورة الفاتحة باسم "أم الكتاب" وتناول هذه السورة بشرح تفصيلي وتفسير قيم لما فيها من الصفات الإلهية ، كما أشار فيها إلى الأخطاء والأباطيل التي وقعت فريستها الأمم القديمة في شئون العقائد والأفكار، والتي لم تعدم مخلفاتها في بعض الأوساط العلمية العالمية حتى الآن، بالإضافة إلى بيان الأسباب في ذلك. ويتخلص ماكتبه - كما أشار إليه من المفسرين فيما سبق - أن الخطأ في معرفة الذات والصفات الإلهية هي منبع الضلالات وأصل المتاهات. (١)

وقد تكلم آ زاد عن صفة "الرحمة" وقال:

"الخطأ الكبير الذي وقع فيه الانسان أنه كان يحل ذلك التصور محل الخوف والرهبه والدهشة، بدلا من أن يحله محل الحب ان كلمة من سورة الفاتحة قضت على هذه الضلالة التي تنشأ منها" كما بين أن العدل والحكمة الإلهية من جملة مظاهر رحمته، فيقول ويو يشرح قوله تعالى "مالك يوم الدين" وقد بين وصف "مالك يوم الدين" هذه الحقيقة أن وصف القهر والجلال اذا كان في جملة أوصافه في الرحمة والجمال، فهو ليس لبيان أن في الله وصف الغضب والانتقام، بل إنما ورد هذا الوصف للدلالة على أنه عادل، وأن حكمة قررت بكل شيء خواصه ونتائجه، فالعدل ليس مما ينافى الرحمة بل انما هو نفس الرحمة. (٢)

ثم بين الفرق بين الرحمة والربوبية والعلاقة اللطيفة بينهما بأسلوب رائع بديع يزيد البيان روعة وجمالا فيقول:

إنما هي الرحمة والحكمة التي خلقت الماء ولكن الربوبية هي التي استخدمته بأسلوب يتكفل جملة الضرورات نحو النشأة والتعهد. (٣)

(١) ثقافة الهند: ١٩٨٨ م. ص. ١٥٤

(٢) انظر أم الكتاب: ابوالكلام آ زاد: ص. ٦٧ - ٨٥

(٣) المصدر السابق:

وقد فسر معنى الرب والربوبية وحاول أن يحيط جميع جوانب الربوبية بعناوين المختلفة. واستدل بهذه الربوبية على الوحي والرسالة والمعاد أيضا. "افحسبتم انما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون" (١) وقد سود اكثر من ستين صفحة تقريبا فى تفسير معنى الربوبية.

تفردات آزاد فى بعض الآيات وشرحها:

لما نظرنا فى تفسير "ترجمان القرآن" وجدنا أن جوه الداخلى يختلف تماما عن التفاسير المتداولة. لم يؤلف هذا الترجمان على طراز التقليديين، ألف ورتب على مقاييس الفكر المعتدل والاجتهاد المقبول. فقد قطع أودية العلوم المختلفة والفنون المتنوعة إلى سنوات مديدة فى تعيين مفهوم الآيات الكريمة. وقد ميز كثيرا من المفاهيم القرآنية من دسائس الأفكار الخاطئة والخزعبلات، وأعطى وجهة جديدة لتلك المفاهيم التى لقيت القبول العام من قبل جميع أوساط العلمية.

فأذكر هنا بعض الأمثلة لثبوت ما قلت: فمن (أهم) أمثلة هذا الاسلوب والآداء أن القرآن الكريم ذكر وصف سيدنا ابراهيم عليه السلام فقال:

"إن إبراهيم كان أمة قانتا" (٢)

إن كلمة "الامة" فى اللغة العربية تعنى الإمام والقائد وكذلك تعنى القوم والملة. والشعب ايضا. يذهب الصحابة الذين هم رائدو شارحى القرآن ومفسريه، فى معنى كلمة الأمة فى هذه الآية الشريفة، إلى أنها تعنى الإمام والقائد وتبعهم فى ذلك جميع المترجمين القدامى والجدد فى اللغتين الفارسية والأردية. ولكن مولانا آزاد انفرد فى مذهبه حيث أتبع أحد تلامذة الصحابة وهو الامام المجاهد فى قوله لمعنى كلمة هذه الآية الشريفة المذكورة. وهو قول شانز ولكنه ترك الجمهور وأثر

(١) سورة المومنون: رقم الآية:

(٢) سورة النمل: رقم الآية: ١٢٠

الإمام المجاهد. فترجم خلافا لمذهب الجمهور. إذ ترجم كافة المفسرين هذه الآية بما يلي:

”لاشك في أن ابراهيم (عليه السلام) كان إماما وقائدا‘ متبوعا وكان مطيعا ومسلما لربه“ (١)

قد ترجم مولانا آزاد بهذه الآية الكريمة فقال:

”ليس من شك في أن ابراهيم (عليه السلام) كان أمة وشعبا من حيث شخصية“ (٢)

فقد لاحظ ابوالكلام آزاد في ترجمة هذه الآية الكريمة مكانة سيدنا ابراهيم الرفيعة وعظمته التاريخية حيث اتحدت في شخصيته أمم ثلاث تعتنق الأديان السماوية الثلاثة وهي اليهودية والنصرانية والاسلام لأن النبي موسى وكذلك الرسول عيسى وخاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم كل هؤلاء الرسل ينتمى نسبهم إلى سيدنا ابراهيم عليه السلام. فقد ركز ابوالكلام آزاد اهتمامه على هذا الواقع ولم يبال أن ترجمته تكون خلافا لمذهب الجمهور من العلماء والمترجمين. (٣)

وقد فسر معنى ”الحق“ و”الهداية“ في قوله تعالى: ”قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق‘ قل الله يهدي للحق“ (٤) فيقول:

”قد اعتبر المفسرون معنى كلمة الحق والهداية‘ في هذه الآية الكريمة أن المقصود من الهداية هي ”هداية الوحي“ والحق هو دين الحق‘ وأتبع جميع مترجمي اللغة الاردية والفارسية‘ هذا المعنى. والنتيجة أن جميع حقيقة استدلال

(١) ترجمان القرآن: دراسة تحليلية: اخلاق حسين القاسمي. ص. ٨٩

(٢) انظر: ترجمان القرآن: ج ٨٣ ص.

(٣) انظر: ثقافة الهند: ١٩٨٨. ص. ٢٤٣

(٤) سورة يونس: رقم الآية: ٣٥

القرآن فقدت واختفت، وتلخبط المعنى.. أنا اتعجب شديد الإستعجاب بروية مثل هذا المقام أن المتأخرين كيف انحطت معايير أفكارهم حتى لم يقفوا على مفاهيم القرآن الصريحة.. ثم يقول: إن هؤلاء المشائخ لم يهتموا بأن يعلموا أن ماهى معانى كلمة ”الحق والهداية“ وماهى مراتبها المختلفة والأشكال المتنوعة.. ثم يقول:

”فى الحقيقة إن مقصود ”الهداية“ هنا هى هداية الوجدان والعقل. ليس هى هداية (الوعى). ”والحق“ ليس هو دين الحق بل هو بالمعنى اللغوى اعنى الطريق السوى. والصراط المستقيم.(١)

وفسر قوله تعالى : ”وأندرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون“ فيقول :

إن عامة المفسرين يعنون بهذه الكلمة ”يوم الحسرة“ بيوم القيامة . وكان المراد بهذا اليوم يوما كان واقعا قريبا للنصرانيين وكان لهم فيه حسرة وندامة - أى يوم فتح بيت المقدس . ويقول فى ضمن هذا السياق :

”فلم يمض خمس وعشرون سنة بنزول سورة مريم حتى طلع هذا اليوم وتحير العالم النصرانى بسماع أن المقر الرئاسى للمسيحية وقبلتها ومركزها قد سقطت من أيديهم فجأة إلى أيدي قوم جديد. ولم يكن هذا الفتح فتح بيت المقدس فقط بل كانت هى نهاية الزعامة المسيحية فى الآسيا والإفريقية..

يا للعجب! لم يلم مفسرونا بهذا الخبر، بل كلما رأى المفسر كلمة اليوم فيفسر أنه يوم القيامة“ (٢)

وقد عالج ابوالكلام آزاد موضوع المقام المحمود فى تفسير قوله تعالى: عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا(٣) فقد فسر ”مقاما محمودا“ تفسيراً نادراً

(١) ترجمان القرآن: ج ٣ / ص.

(٢) انظر: ترجمان القرآن. سورة مريم آية رقم: (٣٩)

(٣) بنى اسرائيل. آية رقم: ٧٩

لا يوجد له مثيل ولا نظير، فقال مولانا اخلاق حسين القاسمي:

”والمقام المحمود“ هو المكانة الممتازة والمنزلة الخاصة التي يحظى بها اكرم الأنبياء محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فشرح هذا المقام النبوي المحمود وتفسيره الذي تناوله قلم مولانا آ زاد الرائع ينثر الدرارى ولا يوجد له نظير فى أدبنا وفى اى مكان آخر والبحث عن هذا المقام فى كتب الآخرين لا يكون ذاغناء. إن مثل هذا الشرح لا يمكن أن يخرج إلا من القلم الذى تمسكه اليد التى السا

يفرق قلب صاحبها فى حب الرسول ويحس بحرارته وشدته من الأعماق. (١)

يقول مولانا آ زاد: ”إن المقام المحمود يعنى منزلة ومكانة يحمد فيها المرء

عادة فقال جل وعلا: إن ربك ربما ينزل بك فى منزلة ومكانة تحمد فيها للأبد“ (٢)

لقد ورد فى شأن المقام المحمود وشرحه فى جميع كتب التفاسير فى اللغتين العربية والأردية، أنها الشفاعة الكبرى وذلك استنادا بما ورد فى الحديث النبوى الشريف والذى يتعين بموجبه أن مكانته ومنزلته الرفيعة هذه تختص بالعالم الأخرى، وهى من خصائصه وامتيازاه فى الدار الآخرة، ولكن مولانا آ زاد يعتبر أول مفسر وشارح للقرآن ربط هذه المكانة الرفيعة والمنزلة المحمودة بالدنيا والآخرة فى وقت واحد، وقال بأن محمد رسول الله ﷺ يحظى بمكانة جديرة بالثناء والتقدير فى العالمين الآجل والعاجل وهذه هى حقيقة واضحة ثابتة. (٣)

نرى فى بعض الأحيان أن أبا الكلام آ زاد يفضل ترجمة العالم الجليل شاه ولى الله الدهلوى من الاختلاف. وقد لاحظنا أن مولانا آ زاد يختار أحيانا مسلكا يختلف عن جميع المترجمين للقرآن إذا وجد فى أقوال أحد الصحابة أو التابعين ما يؤيد رأيه. فمثلا: ترجمة هذه الآية: ”وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا

(١) ترجمان القرآن: دراسة تحليلية: مولانا اخلاق حسين القاسمي. ص. ١٨٨

(٢) انظر: ترجمان القرآن ج ٣ / سورة بنى اسرائيل آيت رقم ٧٩

(٣) المصدر السابق:

يكسبون“ (١) أى هكذا نقرب بعض الظالمين من البعض فى الدار الآخرة بسبب أعمالهم يعنى يعاقب كلهم جميعا فى مكان واحد.

لقد نقل جميع المترجمين المتقدمين منهم والمتأخرين هذه الترجمة نفسها بناء على أن كلمة ”نولى“ مأخوذة من الولاية بفتح الواو، والتي تعنى القرب ولكن مولانا أزد هو المترجم الوحيد الذى تبع الشيخ ولى الله الدبلوى وترجم الآية الكريمة بقوله: (٢)

وأنظروا هكذا وعلى هذا النمط، نحن نسلط بعض الظالمين على البعض وسبب ذلك يرجع إلى ما اقترفوا وكسبوا من الأعمال السيئة“ (٣).

وقد أثر ابن كثير رحمه الله أيضا هذا الشرح والتفسير وربطه بالحياة الدنيوية بدلا من الدار الآخرة، واستشهد به أحد الشعراء العرب فى قوله:

وما من يد إلا يد الله فوقها ولا ظالم إلا سيلى بظالم (٤)

وكذا قوله تعالى ” فلما رأيتهم اكبر منه وقطعن أيديهن“ (٥). فقد فسر كثير من المفسرين أن هذا الفعل للنسوة اللاتي قطعن أيديهن فعل اضطرارى. حيث ترجم شيخ الهند محمود الحسن بهذه الآية فيقول:

فلما رأينه فاندھشن وتعجبين وقطعن أيديهن. (شيخ الهند)

وقد علق مولانا أزد ^{وكتب} ^{على} ^{هذا} ^{عملين} ^{هذا} ^{عملين} ^{اختيارى}؛ فقد ترجم هذه الآية؛ لما خرج يوسف عليه السلام على النسوة ورأينه فاندھشن واعترفن بكبريائه، وقطعن أيديهن وقلن يا سبحان الله! ما هذا بشراً، إن هذا إلا ملك كريم“

(١) سورة الأنعام: رقم الآية: ١٣٠

(٢) ترجمان القرآن دراسة تحليلية: اخلاق حسين القاسمى. ص. ٩.

(٣) ترجمان القرآن: ج ٢ / ص. ٧٨٧

(٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٢ / ص. ١٧٦

(٥) سورة يوسف: آية: ٣١

ثم علق في الحاشية فيقول :

لما سمعت أميرات المدينة هذا الخبر أن هناك عبد وجيه افتتنت به امرأة العزيز ولم تستطع السيطرة عليه، فاشتقت الى لقائه ورؤيته ... فلما عقد امجلس ^م الضافية ودعى يوسف عليه السلام فلا يرى أن هناك أية واحدة منهم لم تحاول الرمي اليه برماح نظرة العشق والفتنة والمكيدة اليه (١)

هذا قليل من ذلك الكثير الذي نراه منثوراً في ترجمان القرآن من تفسير نادر وترجمة بديعة رائعة ميزته من المفسرين والمترجمين المعاصرين والمتقدمين في بعض الأحيان .

ابو الكلام آزاد كمحقق ومؤرخ :

كان ابو الكلام آزاد من شارحي القرآن ومفسريه الذين لا يقبلون الروايات والآثار الواردة في تفسير المعجزات القرآنية إلا بعد غربلتها ووضعها على محك الفحص والتحقيق. فانه يلقي نظرة عميقة الى حقيقة المعجزات وإمكانية وقوعها والى ضرورة الشهادة لاثباتها وما الى ذلك ويتبين في سائر الآيات التي تتصل بالمعجزات أمثال : ”ورفعنا فوقكم الطور“ (٢). ”وإذ نتقنا الجبل فوقهم“ (٣). ”وأزلنا عليكم المن والسلوى“ (٤). ”فانفلق البحر“ (٥). وجعل منهم القردة والخنازير“ (٦) ”فقبض قبضة من اثر الرسول“ (٧). ”وأنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب“ (٨).

ففي سائر هذه الآيات وأمثالها يتبنى في شرحها وتفسيرها طريقة المحققين

(١) انظر: ترجمان القرآن ج ٢ / ص ٢٦٤

(٦) المائدة: رقم: ٦٠

(٢) سورة البقرة: رقم الآية ٦٣

(٧) سورة طه

(٣) سورة البقرة: رقم الآية ٥٧

(٨) سورة البقرة ..

(٤) سورة الأعراف: رقم الآية ١٧١

(٥) سورة الشعراء: رقم الآية ٦٣

فلنتظر تفسير هذه الآيات الكريمة في ترجمان القرآن ، أنا أترك هنا تفسير هذه الآيات لمخافة الإطالة ...

وقد لعب مولانا آزاد دور المحقق البارع والمؤرخ الكبير في تعيين مفهوم أصحاب الكهف والرقيم . وشخصيته ذى القرنين و سد يا جوج وما جوج . فقد سمي القرآن الكريم ”أصحاب الكهف“ بالرقيم أيضاً ، فذهب كثير من المفسرين الى أن الرقيم مأخوذ من ’رقم‘ بمعنى الكتابة ، ولكن قال ابو الكلام آزاد أن الرقيم هو اسم لمدينة“ فيقول :

قد ذهب معظم المفسرين الى أن الرقيم هنا بمعنى الكتابة ‘ يعنى أن هناك لوحة مكتوبة عليها شيئاً على كهفهم الذين كانوا يتامون فيه ، فاشتهر وا بهذا الاسم ، ولكنهم لو راجعوا الى التوراة لعرفوا أن الرقيم هو اللفظ الذى قيل لها راقيم فى التوراة . وفى الحقيقة كان ’رقيم‘ إسم لمدينة أشتهر فيما بعد باسم ’بير‘ الذى قاله العرب ’بطرا‘ (١).

وكذا قد بذل جهودات جبارة فى تحقيق شخصيته ذى القرنين وسد يا جوج ماجوج ، فكان هو أول من قام بتعيين مصداقية هذه الشخصية التى كانت مختلفة فى حقيقتها منذ القدم . وكانت هناك مذاهب شتى من خلال أربعة عشر قرناً فى تعيين هوية ذى القرنين والكشف عن هذا الشخص العظيم الذى قص القرآن قصته بهذا الاهتمام البالغ - فيرجع الفضل كله الى الشيخ مولانا آزاد فى تحقيق وتحديد هذه الشخصية وشرح هذه الإشارة والعقيد بحد الكمال ، فإنه اثبتت بعد أن ناقش هذا الموضوع بإسهاب احتوى على ثلاثين صفحة أن ذى القرنين هذا هو الامبراطور قورش ملك الفرس وفقاً لمدلولات القرآنية ، وأن يا جوج وما جوج هما من القبائل المغولية (٢). يعتبر تحقيق المولانا آزاد هذا قوياً فيصلاً فى هذا الشأن

(١) انظر: ترجمان القرآن سورة الكهف .

(٢) نفس المصدر

واعترف بفضلله وأسبقيته فى جميع تفاسير القرآن وكتب التاريخ التى ظهرت بعد 'ترجمان القرآن' الذى وضعه المولانا آزاد بأسلوبه العذب وقلمه السلسال (١).

خلاصة القول أن أبا الكلام آزاد - كما قلت آنفاً - قضى ربيع حياته فى مطالعة القرآن ودراسته ، ونرى اعتداله الفكرى فى شرح الآيات الذى كان نتيجة لشغفه البالغ بالقرآن الكريم وعلومه وترجمته الرائعة وتفسيره البديع النادر تدل ^{للإبي} سعة اطلاعه على العلوم المختلفة و الثقافات المتنوعة ، كما أنها تدل الى براعته ونبوغه فى اللغة العربية وآدابها وقدرته الكاملة عليها ، فقد كان عارفاً روح اللغة العربية ومواقع استعمالها وأسلوبها اقتضاءً لحالها -

فهذه هى الدواعى كلها أعانته فى فهم الآيات القرآنية فهماً سليماً ، فقد أعطى وجهات جديدة فى تفسير بعض الآيات وترجمتها .. وبجانب هذا قد لعب دورالمؤرخ الماهر والمحقق العظيم فى تعيين مصداقية بعض الشخصيات التى جاءت فى القرآن الكريم ، وحل العقدة التى كانت معقدة منذالقرون ، ولقى له القبول العام فى هذا الصدد...

(٣) ثقافة الهند : ١٩٨٨ ص ٢٤٤

الخاتمة

ولد محي الدين أحمد المكنى بابي الكلام آزاد ، الملقب بإمام الهند ، في أواخر القرن التاسع عشر في مكة المكرمة من أب هندي كريم وأم عربية حنون . نشأ نشأته الأولى في جوار بيت الله الحرام ، وترى في حضن اللغة العربية العريقة ، تعلمها وتكلم بها وتدارس فيها حتى قد عرف رموزها وأسرها مع كونه حديث السن .. قد وهبه الله موهبة عظيمة ، نعتبه آية من آيات الله في حداثة الزكاه وذهنه الثاقب ..

بدأت رحلته العلمية من مهد مكة المكرمة ثم انتقل أبوه مع أسرته الى كالكوته عام ١٨٩٨م. حيث اكتمل درسه النظامي وهو في السادس عشر من عمره .

كان وقاد القريحة ساجح الطبيعة ' قد جباه الله ذهنًا حرا متورا منذ صباه' وكان شغوفًا بالمطالعة الواسعة خارجا عن الدرس النظامي فبدأ يقرأ كل ما يدا له، فتعلم اللغة الانجليزية وأجاد في اللغة الأردية والفارسية كما أنه برع في اللغة العربية ، فكانت أبواب علوم الشرق والغرب تفتحت أمامه على مصراعها . هكذا قد برزت هذه الشمس المشرقة من سماء أرض الهند وأنارت الشرق والغرب ، وأعجبت المعاصرين من العلماء والمتقنين حتى اعترفوا بتبحر علمه وعمق فكره وقوة حفظه وحدة ذكائه وثقب ذهنه وبلاغة قوله وفصاحة لسانه ووسعة ثقافته وكثرة تطلعاته الى آفاق جديدة بعيدة المدى .

قد مرت عليه مراحل عديدة في حياته ' ومن أهم تلك المراحل هي مرحلة التشكيك في العقائد الموروثة' واجتراء كشف الحقيقة واختيارها بدون أي حائل . فلم يفتن هذا الشاب اليافع ما تعلمه من العلوم التقليدية والعقائد الموروثة بل كانت

له عقلية تتطلع إلى ما وراء ذلك. فقد يسره الله له خلع نيران التقليد الجاف . وانطلق في حياته على سجيته. وأخذ يتطلع إلى مجال أوسع في العلوم والمعرفة. و شأنه في ذلك شأن كل شاب متفتح الذهن لا يقنع بما وصل إليه من معرفة في دراسته التقليدية.

قد برع في كل ميدان دخل فيه، واحتل فيه مكانة عظمى من بين المعاصرين وجعلهم معترفين بعظمته، وكان معظم حياته غارقا في المغامرات السياسية، حيث انه قد شمر الجد ضد الاستعمار البريطاني، ونفخ روح الحرية والاستقلال في أبناء الهند. واتخذ ”الهلل“ و ”البلاغ“ و ”لسان الصدق“ كوسيلة لإظهار مشاعره واحاسيسه وجعلها حافزة لإيقاظ همم المواطنين بأن ينهضوا من سبات عميق ويقوموا للكفاح ضد المستعمرة الأجنبية وسياسة الإنجليز الغاشمة، كما أنه بث الروح الدينية والكرامة الإسلامية في نفوس المسلمين عن طريق مجلتيه الهلال والبلاغ وقد واجه كثيرا من العوائق والعقبات حتى السجون والإعتقالات، لكنه ثبت دون هذه العراقيل ثبوت الراسيات في تحقيق هدفه المنشود، فقد أثمرت اجتهاداته ومثابراته على الشدائد حتى نالت الهند استقلالها ١٥ / أغسطس عام ١٩٤٧ م.

بجانب هذا كان مولانا آزاد عالما جليلا، أديبا ماهرا وخطيبا بارعا، وله إمام واسع باللغة العربية وفقهها. قد ترجم خطبة السيد رشيد رضا المصري الذي ألقاها في دارالعلوم ندوة العلماء، كانت خطبته باللغة العربية الفصيحة البليغة . وقد ترجمها مولانا آزاد مرتجلا بنفس الفصاحة والبلاغة.

قد قام بترجمة بعض الرسائل والمقالات العربية باللغة الأردية مثل رسالة للإمام السيوطي ' نور اللمعة في فضائل الجمعة' كما أنه ترجم بعض أجزاء "نفحات الانس" لمولانا جامي، وكذا "أنيس اللبيب في خصائص الحبيب" للإمام السيوطي وغيرها.

وقد قضى مدة تذكر في البلاد الاسلامية مثل البغداد، والقاهرة ودمشق وغيرها . ولقى هناك كثيراً من العلماء والمشائخ الكبار وتبادل معهم الأفكار على الموضوعات العلمية المختلفة - وكان من مشاهير العلماء في ذلك الوقت العلامة آلرسي ، والشيخ محمود شكرى من العراق ، الشيخ ابو حمزة إكردى ، والسيد عبد الرحمان النقيب ، والسيد عبد الله الأصفهاني وغيرهم . ولهم شأن وميض في العلم والأدب في ذلك العصر . كان يحضر مولانا ابوالكلام آزاد في مجالسهم العلمية ورأى فيها منظرًا معجباً لفيضان العلم والأدب والمعارف والحكم ، فقد تكسب من هذا البحر المواجه وخاض في غماره وملاً جوبه بالدرر الكامنة والآلى المكتونة من العلم والأدب والثقافة العربية العريقة والتطلعات الواسعة .

وغير بالذكر أن مولانا آزاد له عناية بالغة بإحياء اللغة العربية . حيث ذكر في اهداف إنشائه مجلته الأسبوعية "الهلال " .

" اللغة العربية هي اللغة المليئة للمسلمين كافة ولو أنه من العوامل الأساسية للإحباط الديني للمسلمين هجر ان اللغة العربية ، وشيوع العجمة . . فيجب عليهم إحياء اللغة العربية " .

صحيح أنه لم يكتب أى كتاب باللغة العربية لكن كتاباته ومقالاته باللغة الاردية معبأة بالكلمات العربية وتراكيبها وأساليبها ، مدالة بالشواهد القرآنية والآثار النبوية ، مزينة بالأشعار العربية والأمثال والحكم . وهي شواهد تشير الى مدى إلمامه باللغة العربية ومعرفته بآدابها - لا ينبغي لنا العدول عنها والإغماض عن هذه الحقيقة البارقة .

وبالرغم من نشاطاته السياسية المكثفة التي كان يكابدھا آزاد إلى آخر حياته ، ترك مآثر جلية كفاية للعز والافتخار . ومن أهم تلك المآثر مؤلفه المعروف ترجمان القرآن . إنه أول كتاب نال مكانة مرموقة من بين جميع التفسير التي الفت طوال القرنين الماضيين ، وهو من أهم وأعظم عمل قام به آزاد طول حياته

رغم الانتراكات والاضطرابات 'ألفه آزاد طبقا لظروف مسلمي الهند وسد حاجاتهم العقلية والفكرية. ولم يجعل هذا الكتاب كتابا دينيا علميا فحسب بل أصبح هذا التفسير أكبر مثال في التفسير الأدبي لامثيل له من قبل ولا من بعد. وهو منبع عظيم ينهل منه العالم العارف والقارئ العادى على حد سواء تقيض منه أنهار العلم والتحقيق وجدول البحث والتدقيق. وهى روضة معمرة تتفتح جميع أزهارها بألوان بهيجة مختلفة ذات انواع عديدة' من حسن الأدب والإنشاء' وروعة البيان والأسلوب' وبدعة الأداء والإبتكار' تنتشر عطورها على كواهل النسيم إلى جميع أوساط العلم والأدب' تتكسب من فيوضها وبركاتها' وتعتز بهذا المفخر العظيم والمأثر الجليل الخالد الحى...

كما عرفنا أنه قد قضى ربيع حياته فى مطالعة القرآن ودراسته ، فنرى اعتداله الفكرى فى شرح الآيات الذى كان نتيجة لشغفه البالغ بالقرآن الكريم وعلومه. وترجمته الرائعة وتفسيره البديع النادر تدل على سعة اطلاعه على العلوم المختلفة و الثقافات المتنوعة ، كما أنها تدل على براعته ونبوغه فى اللغة العربية وآدابها وقدرته الكاملة عليها ،فقد كان عارفاً روح اللغة العربية ومواقع استعمالها وأسلوبها اقتضاءً لحالها -

كما أنه قد لعب دور المؤرخ الماهر والمحقق العظيم فى تعيين شخصية ندى القرنين وتحقيق السد و يأجوج مأجوج ' التى جاءت فى القرآن الكريم' وحل العقدة التى كانت معقدة منذ القرون ، وتلقى بقبول واعتراف لم يكتب لأحد من بعد ...

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأشعار العربية

فهرس الآعلام

فهرس المراجع والمصادر

فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

ص	الآيات الكريمة
١١٦	١. أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً...
١١١	٢. اقتربت الساعة وانشق القمر....
٦٤	٣. ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ...
٥٧	٤. الذين ضل سعيهم فى حياة الدنيا ..
١١٦	٥. إن إبراهيم كان أمة قانتاً...
٥٨	٦. إنه لقرآن كريم ، فى كتاب مكنون ...
٥٧	٧. إنه هو يبدئ ويعيد ، وهو الغفور الودود...
٥٩	٨. بل هم فى شك يلعبون ...
٦٤	٩. بل يداه مبسوطتان ...
٥٨	١٠. تنزيل العزيز الرحيم ...
٥٥	١١. رب ادخلنى مدخل صدق ...
١١٠	١٢. سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً ...
٥٧	١٣. ضربت عليهم الذلة والمسكنة ...
٦١	١٤. ظلمات بعضها فوق بعض ...
١١٨	١٥. عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ...
١١١	١٦. فإذا نفخ فى الصور نفخة واحدة...
٥٩	١٧. فأقم وجهك للدين حنيفاً...
٦٠	١٨. فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله ورسوله ...
٦١	١٩. فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً...
١٢١	٢٠. فقبض قبضة من أثر الرسول ...
١٢٠	٢١. فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن ...

- ٢٢ . قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن ... ١١١
- ٢٣ . قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق ... ١١٧
- ٢٤ . قل هو للذين آمنوا هدىً وشفاء.. ٥٨
- ٢٥ . كشجرة طيبة أصلها ثابت ... ٦٠
- ٢٦ . لا تهنوا ولا تحزنوا و أنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ٦٥
- ٢٧ . لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه.. ٥٨
- ٢٨ . ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه ٨٣
- ٢٩ . ما لهم به من علم الا اتباع الظن .. ٥٩
- ٣٠ . هذا تأويل رؤياى قد جعلها ربي حقا ... ٦٥'٥٥
- ٣١ . هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج . ٦١
- ٣٢ . وإن قال الله يا عيسى إنى متوفيك ... ١١١
- ٣٣ . وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ... ١١٠
- ٣٤ . وإذ نتقنا الجبل فوقهم ... ١٢١
- ٣٥ . واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ٦٠
- ٣٦ . وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر ١١٨
- ٣٧ . وأنزلنا عليكم المن والسلوى ... ١٢١
- ٣٨ . وبدا لهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ٥٧
- ٣٩ . ورفعنا فوقكم الطور... ١٢١
- ٤٠ . وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم ٥٧
- ٤١ . وكذلك نولى بعض الظالمين بعضاً ١١٩
- ٤٢ . ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا ٦٠
- ٤٣ . ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم .. ٦٠
- ٤٤ . وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ٥٩

- ٦١ ٤٥. يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ..
- ٥٦ ٤٦. يا صاحبى السجن أرباب متفرقون خير..
- ٦١ ٤٧. يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر..

فهرس الأحاديث النبوية

ص	الأحاديث	الرقم
٦٦	إذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد..	.١
٦٧	إذا كان ثلاثة فى سفر فليؤم واحدكم	.٢
٦٦	المؤمن للمؤمن كالبنيان...	.٣
٦٧	عليكم بالجماعة فان الشيطان مع الفذ..	.٤
٦٧	عليكم بالجماعة والسمع والطاعة..	.٥

فهرس الأشعار العربية

١. ألا فاسقنى خمراً وقل لى هى الخمر ٦٩
٢. الى أن رعت ورقاء من غصن أيقة ٧١
٣. تداويت من لىلى بللى عن الهوى ٧٠
٤. فإن ما تحذرين قد وقع .. ٧٢
٥. فقال أتبكى كل قبر رأيته ٧٣'١٤
٦. فقلت له أن الشجا يبعث الشجا ٧٣'١٥
٧. فلوقبل بكاها، بكىت صبابة ٧١
٨. قليل منك يكفينى ولكن .. ٦٨
٩. كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا ٧٠
١٠. كيف الوصول الى سعادة ودونها .. ٦٩
١١. لقد لامنى عند القبور على البكاء ٧٣'١٤
١٢. وحبب ، فإن الحب داعية الحب ٧٢
١٣. ولكن بكت قبلى ، فهيج لى البكاء ٧١
١٤. وما الدهر إلا من رواة قصائدى ٧٢
١٥. وما من يد إلا يد الله فوقها ١٢٠
١٦. ومما شجانى أننى كنت نائماً ٧١

فهرس الأعلام

ص	
٨٩'٧٨'٢٣	١. ابن تيمية
٢٣	٢. ابن رشد
٢٣	٣. ابن طفيل
٧٨	٤. ابن قتيبة
١١	٥. أبو النصر غلام يسين
٦٨	٦. أجمل خان
١٣	٧. أحمد ابراهيم
٧٨	٨. الإمام الشاطبي
٧٥	٩. الإمام الغزالي
٢٣	١٠. بديع الزمان الهمداني
٧٥	١١. جلال الدين السيوطي
٩٠	١٢. جلال الدين المحلي
٤٩'٣٦	١٣. جمال الدين الأفغاني
٢٤'١٦	١٤. جواهر لال نهرو
٧٥'٦٨	١٥. حبيب الرحمان شيرواني
١٣	١٦. حنيفة بيغم 'المتخلص بـ'أبرو'
٦	١٧. خيرالدين
١٢٢	١٨. ذو القرنين
١٣	١٩. زليخا بيغم
١٢	٢٠. زينب بيغم
٢٠	٢١. سعادت حسين

٩٢	٢٢ . سعيد الدهلوى
١٢	٢٢ . سعيد أرب
٩٣	٢٣ . السيد اختر على تلهرى
٨٩٤٩	٢٤ . السيد رشيد رضا
٩٢	٢٥ . السيد سليمان الندوى
١٠٢٩٣	٢٦ . السير سيد أحمد خان
١١٤	٢٧ . شاه عبد القادر
١١٤٨٥	٢٨ . شاه ولى الله الدهلوى
٨٥	٢٩ . الشيخ برهان الدين السنهلى
٩٠	٣٠ . الشيخ شهاب الدين دمشقى
١٨	٣١ . الشيخ عبد الله
١٠	٣٢ . الشيخ محمد ظاهر وترى
٩٠	٣٣ . الشيخ نجم الدين
٩	٣٤ . صفيه مزمل
١٠	٣٥ . عاليه بيغم
٥٢	٣٦ . عبدالرزاق مليح آبادى
١٧	٣٧ . عبد الماجد دريابادى
٦٣	٣٨ . عبید الله
٢٣	٣٩ . عرفى
٧٢	٤٠ . علية بنت المهدي
٩٦	٤١ . غلام ربانى تابان
١٢	٤٢ . فاطمة بيغم
٨٣	٤٣ . فخرالدين الرازى

۷۶	۴۴ . فرید وجدی
۶	۴۵ . فیروز بخت
۹۵'۱۸'۶	۴۶ . مالک رام
۱۴	۴۷ . متمام بن نویره
۷۸	۴۸ . محمد عبد الحی الکنوی
۸۹	۴۹ . محمد عبده
۲۰'۶	۵۰ . محی الدین أحمد
۳۶	۵۱ . مصطفی کمال
۹۹	۵۲ . مفتی محمد شفیع
۹۶	۵۳ . مولانا اختر تلہری
۱۱۸'۹۳	۵۴ . مولانا اخلاق حسین القاسمی
۷۶	۵۵ . مولانا جامی
۹۹	۵۶ . مولانا حفظ الرحمن
۹۳	۵۷ . مولانا محمود الحسن
۹۹	۵۸ . مولانا مودودی
۲۳	۵۹ . نظیری
۱۲۲	۶۰ . یاجوج وماجوج

فہرس المراجع والمصادر

۱. آزاد فکر ونظر کے آئینے میں:
جاوید وششت ، فرید آباد ہریانہ اردو اکادمی .
۲. آزاد کی کہانی آزاد کی زبانی :
ابو الکلام آزاد ، المرتب ، عبد الرزاق ملیح آبادی
مکتبہ اشاعت القرآن - دہلی ، نومبر - ۱۹۶۵
۳. ابو الکلام آزاد ایک ہمہ گیر شخصیت :
رشید الدین خان ، ترقی اردو بیورو نئی دہلی - ۱۹۸۹ م
۴. ابو الکلام آزاد ، شخصیت اور کارنامے :
خلیق انجم ، اردو اکادمی ، دہلی - ۱۹۸۶ م
۵. ابو الکلام آزاد :
عابد رضا بیدار نئی دہلی ۱۹۶۸ م
۶. ابو الکلام آزاد :
د/عبد المنعم النمر ،
جمهورية مصر العربية ، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية .
مطابع الأهرام التجارية ، مصر - ۱۹۷۳ م
۷. ابو الکلام آزاد . شخصیت سیاست بیغام :
رشید الدین خان ، ترقی اردو بیورو ، نئی دہلی ۱۹۸۹ م
۸. ابو الکلام آزاد :
عرش ملسیانی ، وزارة الإطلاعات والنشر ،
الحكومة الهندية - ۱۹۹۵ م
۹. أصحاب الكهف :
ابو الکلام آزاد ، لاهور سنغ میل بلیکیشن - ۱۹۸۶ م

۱۰. أم الكتاب :

مولانا ابوالکلام آزاد ، اعتقاد ببلیشنک هاؤس ،

نئی دہلی - ۱۰۸۷ م

۱۱. امام الہند : مولانا ابوالکلام آزاد ، المرتبۃ : السیدۃ سعید بن جمید

المجلس الہندی للعلاقات الثقافیۃ ، نیو دہلی - ۱۹۹۰ م

۱۲. انتخاب تذکرۃ :

مولانا ابوالکلام آزاد ، المرتب : محمود الہی

اردو اکادمی ، اتر پردیش ، لکناؤ - ۱۹۸۸ م

۱۳. انسان کی حیات صالحہ :

مولانا ابوالکلام آزاد ، جمن بک دیپو ، دہلی - ۱۹۶۳ م

۱۴. باقیات ترجمان القرآن :

مولانا ابوالکلام آزاد ، المرتب : غلام رسول مہر

لاہور - ۱۹۶۰ م

۱۵. تحریک آزادی :

مولانا ابوالکلام آزاد ، کتاب خانہ ، دہلی - ۱۹۶۳ م

۱۶. تذکرۃ : مولانا ابوالکلام آزاد ، المرتب : مالک رام

ساہتیہ اکادمی ، نیو دہلی - ۱۹۶۴ م

۱۷. ترجمان القرآن : (المجلد الاول والثانی والثالث والرابع)

مولانا ابوالکلام آزاد ، ساہتیہ اکادمی ،

نیو دہلی - ۱۹۸۹ م

۱۸. ترجمان القرآن کا تحقیقی مطالعہ :

مولانا اخلاق حسین القاسمی ، مولانا آزاد اکادمی

نیو دہلی - ۱۹۹۳ م

١٩. جامع الشواهد فى دخول غيرالمسلم فى المساجد :
- مولانا ابوالكلام آزاد 'تقديم: مسيح الحسن
مكتبة خدا بخش العامة' بتنه -١٩٩٣ م
٢٠. حواشى ابوالكلام آزاد :
- السيد مسيح الحسن 'اردو اكاديمى' دلهى -١٩٩٣ م
٢١. خطبات آزاد : ابوالكلام آزاد 'المرتب : مالك رام
سأهتیه اكاديمى' نيو دلهى -١٩٩٧ م
٢٢. ذكر آزاد : مولانا عبد الرزاق مليح آبادى
دفتر آزاد هند 'كالكوته -١٩٦٠ م
٢٣. زعماء الاصلاح فى العصر الحديث :
- د/ أحمد أمين 'مكتبة النهضة المصرية' القاهرة -١٩٤٨ م
٢٤. الصحافة العربية فى الهند نشأتها و تطورها
د/أيوب تاج الدين الندوى
٢٥. غبار خاطر : ابوالكلام آزاد
- سأهتیه اكاديمى نيو دلهى ١٩٩١ م
٢٦. كجه ابوالكلام كى بارى مين : (عن يابى الكلام آزاد)
مالك رام - مكتبة الجامعة المحدودة
نيو دلهى ١٩٨٩ م
٢٧. كفاح المسلمين فى تحرير الهند :
- د/ عبد المنعم النمر 'مكتبة وهبة' الشارع الجمهورية
العابدين 'مصر -١٩٦٤ م
٢٨. لسان الصدق :
- مولانا ابوالكلام آزاد 'مكتبة الجامعة المحدودة

٢٨. لسان الصدق :

مولانا ابوالكلام آزاد ، مكتبة الجامعة المحدودة

نيودلهي - ١٩٨٨ م

٢٩. مولانا ابوالكلام آزاد:

غلام رباني تابان، اين سي آر تي ، نئي دهلي

٣٠. مولانا ابوالكلام آزاد - ذهن و كردار -

عبدالمغني ، انجمن ترقى اردو (هند) نئي دهلي

الكتب الانجليزية :

1. ABUL KALAM AZAD

IDIA WINS FREEDOM

LONGMAN PUBLICATION, NEW DELHI 1998

2. IAN HENDERSON DOUGLAS

ABUL KALAM AZAD ' AN INTELLECTUAL AND RELIGIOUS BIOGRAPHY

OXFORD UNIVERSITY PRESS - DELHI 1988

3. DR. P.N.CHOPRA

MAULANA ABUL KALAM AZAD

MEHTA OFFSET WORK NEW DELHI - 1990

4. DR.RAVINDRA KUMAR

THE SELECTED WORK OF MAULANA ABUL KALAM AZAD

ATLANTIC PUBLISHERS & DISTRIBUTORS NEW DELHI - 1991

5. DR. SAFIA MUZZAMMIL

ABUL KALAM AZAD : ISLAM AND HUMANIYT

AL-KAUSAR PUBLISHER, HYDERABAD , INDIA , 1988

6. DR.SUBHASH.C.KASHYAP

MAULANA ABUL KALAM AZAD

NATIONAL PUBLIC HOUSE. NEW DELHI. - 1989

7. V.N.DATTA

MAULANA AZAD

MANOHAR PUBLICATION. NEW DELHI - 1990

الجرائد والمجلات

- ۱.۱ اکادمی : مولانا ابوالکلام آزاد نمبر
اتربرادیش اردو اکادمی یولیو- ديسمبیر ۱۹۹۳ م
- ۱.۲ اکادمی : مولانا ابوالکلام آزاد نمبر
اتربرادیش اردو اکادمی ینایر - یونیو ۱۹۹۴ م
- ۱.۳ اکادمی : مولانا ابوالکلام آزاد نمبر
اتربرادیش اردو اکادمی یولیو - ديسمبیر ۱۹۹۴ م
۴. ایوان اردو: مولانا ابوالکلام آزاد نمبر
اردو اکادمی نئی دہلی ديسمبیر ۱۹۸۸ م
۵. ثقافتہ الہند : ”مولانا ابوالکلام آزاد“
آزاد بھون نئی دہلی ديسمبیر ۱۹۸۸ م
۶. فکر و نظر : ابوالکلام آزاد نمبر
مسلم یونیورسٹی علیکرہ ديسمبیر ۱۹۸۹ م
۷. فکر و نظر : سر سید نمبر
مسلم یونیورسٹی علیکرہ ديسمبیر ۱۹۹۲ م

فهرس الموضوعات

ص	
١	شكر وتقدير
٢	المقدمة
	الباب الأول :
٤	المدخل لحياة مولانا آزاد
	الفصل الأول :
	ترجمة موجزة لحياة مولانا آزاد:
٦	نبذة تاريخية
٧	أسرته
٧	والده
١٠	أم آزاد
١١	أخوه وأخواته
	الفصل الثاني:
١٦	مولانا ابو الكلام آزاد و عبقريته
	الفصل الثالث :
	ميادين حياة آزاد المتنوعة :
٢٧	خمسة ادوار لحياة ابي الكلام آزاد
	الفصل الرابع:
٣٣	مولانا آزاد فى مجال الصحافة
	الباب الثانى:
٤٣	نبوغ أبى الكلام آزاد فى اللغة العربية :

	الفصل الأول:
٤٤	براعة آزاد فى اللغة العربية :
	الفصل الثانى:
٥٤	نماذج براعة أبى الكلام آزاد فى اللغة العربية :
٦٠	دعوته الى التوحيد وعدم التفرق
٦٦	الأحاديث النبوية
٦٧	الأشعار العربية
	الفصل الثالث:
٧٤	الأعمال المترجمة لمولانا آزاد :
٧٥	نور اللمعات فى فضائل الجمعة
٧٥	خصائص محمدية
٧٥	منهاج العابدين
٧٦	نفحات الأنس
٧٧	تعليقات أبى الكلام آزاد على الكتب العربية
	الباب الثالث:
٨٠	ترجمان القرآن :
	الفصل الأول :
٨١	تعريف موجز لترجمان القرآن
٨٣	الحاجة الى هذا الكتاب
٨٤	تاريخ هذه الترجمة والتفسير
٨٩	الملاحع العامة عن هذه الترجمة (ترجمان القرآن)
١٩	
	لفت نظر
	الفصل الثانى :

٩١	مكانة ترجمان القرآن العلمية :
٩٣	ميزات ”ترجمان القرآن
	الفصل الثالث:
١٠١	السير السيد أحمد خان ومولانا آزاد :
١٠٤	تأثر آزاد بفكرة السيد أحمد خان وكتابه
١٠٦	القدر المشترك فيما بينهما
١٠٨	نقطة الانطلاق
١٠٩	الأفكار الخاطئة للسير السيد أحمد خان
	الفصل الرابع:
	فهم أبي الكلام آزاد الآيات القرآنية :
١١٤	شغفه بالقرآن الكريم
١١٤	فهم الآيات القرآنية
١١٦	تفردات آزاد في بعض الآيات وشرحها
١٢١	ابو الكلام آزاد كمحقق ومؤرخ
١٢٤	الخاتمة
١٢٩	الفهارس:
١٣٠	فهرس الآيات القرآنية
١٣٣	فهرس الأحاديث النبوية
١٣٤	فهرس الأشعار العربية
١٣٥	فهرس الأعلام
١٣٨	فهرس المراجع والمصادر
١٤٣	فهرس الموضوعات

**ABUL KALAM AZAD'S APPROACH TO THE
ARABIC LANGUAGE WITH SPECIAL REFERENCE TO HIS WORK**

“ TARJUMANUL QUR'AN ”

M.Phil. Dissertation

Submitted by

ZIAUR RAHMAN

Supervisor

Dr. F. U. FAROOQI

**Centre of Arabic & African Studies
School of Languages, Literature and Culture Studies
Jawahar Lal Nehru University
New Delhi - 110067**